جامعة الأزهر
كلية أصول الدين
والدعوة الإسلامية بالمنوفية

التفسير التحليلي
لأول سورة يونس عليه السلام

الدكتور
عبدالغفار أحمد عبدالغفار أحمد
المدرس بقسم التفسير وعلوم القرآن
بكلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية - مصر

التفسير التحليلي لأول سورة يونس (عليه السلام)

عبدالغفار أحمد عبدالغفار أحمد

قسم التفسير وعلوم القرآن – كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية، جامعة الأزهر، القاهرة، مصر.

البريد الجامعي: abdulghafarahmad.adv@azhar.edu.eg

الملخص:

يدور البحث حول تفسير الآيتين الأوليين لسورة يونس (عليه السلام) تفسيرًا تحليليًّا، وأبرزتُ من خلال البحث المعاني اللغوية والبلاغية والتفسيرية، قرأتُ كتبَ التفسير وعرضتُ لأقوال المفسرين فيما يخص الآياتِ الكريمات، وأصّلْتُ القضايا اللغوية والبلاغية والتفسيرية، ورجعتُ فيها إلى المراجع الأصلية بحسب كلٍّ مسألة، ورجحتُ بين أقوال المفسرين بحسب ما فتح الله به عليّ، وقسمتُ البحث إلى:

تمهيد، وفصلين، وتحت كل فصل **مبحثين، وخاتمة،**

الفصل الأول: وصف آيات القرآن الكريم بالحكمة. وفيه **مبحثان:**

- **المبحث الأول:** المعاني اللغوية والبلاغية في الآية الكريمة.
- **المبحث الثاني:** في التفسير.

الفصل الثاني: إنكار تعجب المشركين من الوحي إلى رسول الله (ﷺ). وفيه مبحثان:

- **المبحث الأول:** المعاني اللغوية والبلاغية في الآية الكريمة.
- **المبحث الثاني:** في التفسير.

وفي الخاتمة: أبين أهم الفوائد والنتائج العلمية المستخلصة من البحث.

المنهج: اتبعتُ في هذا البحث المنهج التكاملي (الاستقرائي– التحليلي).

النتائج: من أهم النتائج التي خرجت بها من البحث أن الأحرف المقطعة ليست من المتشابهات بحسب الوضع، ولها معاني محتملة، أظهرت أهمية علم اللغة والبلاغة والاشتقاق في تحليل البيان القرآني.

التوصيات: أوصي كل باحث في التفسير وعلومه بالاهتمام بعلوم اللغة، وقراءة كتب التفسير والاستفادة من مناهجها في تحليل النص القرآني.

الكلمات المفتاحية: التفسير- التحليلي- سورة- يونس- استقراء.

The Analytic Interpretation for the Beginning of Surat Yunus

Abd-al-Ghaffaar Ahmed Abd-al-Ghaffaar Ahmed
Department of Tafseer and Qur'anic Sciences- Faculty of Usul-al-Deen and Da'wah in Mufufiyah; Al-Azhar University, Egypt.
University mail: **abdulghafarahmad.adv@azhar.edu.eg**

Abstract:

The research is talking about the analytical interpretation of the first two verses of the Surah of Yunus, Peace be upon him, while clarifying the linguistic, metaphorical and exegetic meanings. After reading the books of Tafseer, the researcher presents the views of each Mufassir and shows the basis of these linguistic, metaphorical and exegetic meanings according their original resources in addition to given preference to the most appropriate views. The research is divided into an introduction, two parts which consist of two chapters each and a conclusion.

The first part which talks about "describing the Qur'an by wisdom" and it incudes of two chapters.

First: the linguistic and metaphorical meanings of the verses.

Second: its interpretation.

The second part which talks about the falsehood of the astonishment of the disbelievers regarding the revelation given to the Prophet, Peace be upon him. It includes two chapters that are as follows:

First: the linguistic and metaphorical meanings of the verses.

Second: its interpretation.

The conclusion explains the benefits and findings of the research.

The methodology: the researcher is admitted to complementary approach of reading and analysis.

The findings show that the Muqatta'ah letters at the beginning of the Surahs are not from the unclear verses; rather, they indicate beautiful potential meanings. They show the importance of Arabic linguistics and metaphor.

Recommendations: The researcher recommends each researcher to study the linguistic sciences and the books of Tafseer in order to utilize them in the analysis of the Qur'anic interpretation.

Keywords: Interpretation - Analytical - Surat - Yunus- Induction.

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمدُ لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد؛ فإنّ علم التفسير من أجلّ العلوم قدرًا ومقدارًا، وذلك لشرف موضوعه وغايته. ولقد أبدع المفسرون الذين ابتكروا المناهج التي تكشف عن مراد الله من كلامه، وتثمر في استخراج الأحكام والحِكم التي تضبط حركة الحياة، وتعالج قضاياهم.

ومن هذه المناهج المهمة المنهجُ التحليلي الذي لا بدّ فيه للمفسر من أن يضطلع بعلوم كثيرة؛ للكشف عن معاني القرآن الكريم. ومن أهم هذه العلوم علوم العربية التي لا بد من المفسر أن يتبحر فيها إفرادًا وتركيبًا، يقول العلامة الألوسي: (فأما ما يحتاجه التفسير فأمور: «الأول» علم اللغة: لأن به يعرف شرح مفردات الألفاظ ومعلولاتها بحسب الوضع، ولا يكفي اليسير؛ إذ قد يكون اللفظ مشترَكًا وهو يعلم أحد المعنيين والمراد الآخر، فمن لم يكن عالما بلغات العرب لا يحل له التفسير كما قاله مجاهد، ويُنكل كما قاله مالك)[1].

ولا بد كذلك من علوم البلاغة (البيان والمعاني والبديع)، فهو الركن الأقوم واللازم الأعظم في هذا الشأن. يقول الزركشي في البرهان: (وهذا العلم أعظم أركان المفسر؛ فإنه لا بد من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز من الحقيقة والمجاز، وتأليف النظم، وأن يواخي بين الموارد ويعتمد ما سيق له الكلام حتى لا يتنافر، وغير ذلك)[2].

(١) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٦/١).

(٢) البرهان في علوم القرآن (٣١١/١).

وكذلك الإحاطة بالظروف والملابسات التي أحاطت بالنص القرآني؛ لبيان المجملات وإيضاح المبهمات، وبغير ذلك يكون التفسير عبثًا، ولا يمكن الوقوف على مراد الله تعالى من كلامه.

ولما كان التفسيرُ التحليلي بهذه الأهمية أردت أن أكتب بحثًا في التفسير التحليلي لصدر سورة يونس (عليه السلام)، أحاول فيه استخراج المعاني والأحكام اللغوية والبلاغية والتفسيرية، وأقف مع كلام أساطين المفسرين شرحًا وتقريرًا وترجيحًا.

أسباب اختيار الموضوع: لما أسند إليّ تدريسُ تفسير سورة يونس (عليه السلام) من كتاب الإرشاد للعلامة أبي السعود، ووقفتُ على ما فيه من مسائل دقيقة في اللغة والبلاغة والتفسير جعلني أراجع الكتب الكبار في اللغة والبلاغة وحواشي التفسير لفهم كلامه والوقوف على مراده، وانتهى البحث إلى دراسة عدة مسائل في اللغة والتفسير وعلوم القرآن أحببت أن أدونها مساهمةً في خدمة كتاب الله (عز وجل).

منهج البحث: يقوم هذا البحث على انتهاج منهجين:

١. **المنهج التحليلي:** حيث قمت بتحليل دلالات الآية، وبيان معانيها اللغوية والبلاغية، وأبرزت قيمة علم الاشتقاق في فهم أسرار التعبير بالمفردة القرآنية، وأن الكلمة إذا عرف مأخذ اشتقاقها عرف سر التعبير بها.

٢. **المنهج الاستقرائي:** حيث تتبعت أقوال المفسرين في الآيتين، وعلقت عليها بالتوضيح والترجيح.

إشكالية البحث: يجيب البحث عن الأسئلة الآتية:

ما المعاني اللغوية والبلاغية لمفردات الآيات؟ ما مناسبة السورة لما قبلها؟ وما مناسبة الآيات لما قبلها؟ وما معنى الأحرف المقطعة؟ وما حكمها من حيث الإعراب؟ وما إطلاقات الكتاب والمراد به في الآية؟ وما نوع حمل الكتاب على

الآيات؟ وما معنى تعجب المشركين؟، وما القراءات الواردة في الآيات وتوجيهها؟

خطة البحث: واقتضى البحثُ أن أقسمه إلى تمهيدٍ، وفصلين، وتحت كل فصل مبحثين، وخاتمة.

الفصل الأول: و صف آيات القرآن الكريم بالحكمة. وفيه مبحثان:

- **المبحث الأول:** المعاني اللغوية والبلاغية في الآية الكريمة.
- **المبحث الثاني:** في التفسير.(١)

الفصل الثاني: إنكار تعجب المشركين من الوحي إلى رسول الله (ﷺ). وفيه مبحثان:

- **المبحث الأول:** المعاني اللغوية والبلاغية في الآية الكريمة.
- **المبحث الثاني:** في التفسير.

وفي الخاتمة: أبين أهم الفوائد والنتائج العلمية المستخلصة من البحث.

(١) هذا التقسيم أخذته مما فعله الإمام السيوطي في التصدير الذي ألقاه بحضرة قاضي القضاة شيخ الإسلام علم البليقني وجماعة من القضاة والأفاضل للجلوس للتدريس.
انظر: تحقيق هذا التصدير الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبدالرازق (٣٥/٢)

تمهيد

في هذا التمهيد أقدم بين يدي السورة بعض الأمور التي تُعرّفنا بالسورة الكريمة، وتحددُ لنا الملابسات التي أحاطتْ بالسورة، وتحديد محورها التي دارت حوله موضوعات السورة.

أولا: البحث في مكيتها ومدنيتها

١. التقسيم الثلاثي لسور القرآن

ذهب جمهور العلماء إلى إثبات وجودِ سورٍ مكية استثني منها آيات مدنية وبالعكس، ومن هؤلاء: الإمام الزركشي في «البرهان» تحت عنوان: (الآيات المدنيات في السور المكية)[١] وتحت عنوان: (الآيات المكية في السور المدنية)[٢] والإمام جلال الدين السيوطي في «الإتقان»، وابن عقيلة المكي في « الزيادة والإحسان »[٣]، وعليه عمل المفسرين.

موقف الشيخ عبدالمتعال الصعيدي من هذا التقسيم

رفض الشيخ عبد المتعال الصعيدي[٤] فكرة التقسيم الثلاثي لسور القرآن إلى مكي ومدني، وما بعضه مكي وما بعضه مدني، فقال: (المشهور بين العلماء أن سور القرآن الكريم على **ثلاثة أقسام: قسم مكي، وقسم مدني، وقسم بعضه مكي وبعضه مدني.** وإني أرى أنها قسمان فقط لا ثلاثة أقسام: مكي

---

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن (١٩٩/١).

(٢) السابق (٢٠٢/١).

(٣) انظر: الزيادة والإحسان (٢٢٠/١).

(٤) الشيخ عبدالمتعال عبدالوهاب أحمد عبدالهادي الصعيدي، ولد سنة (١٣١١هـ-١٨٩٤م) وتوفي في ٢٣ محرم ١٣٨٦ هـ الموافق ١٣ مايو عام ١٩٦٦م عن عمر يناهز اثنين وسبعين عامًا.

خالص، ومدني خالص، وأنها ليس فيها ما بعضه مكي وبعضه مدني؛ لأن كل سورة من سور القرآن جاءت مناسبة لزمن نزولها، ولكل من القسم المكي والقسم المدني مميزاته، فلا يكون من المناسب لارتباط آيات سوره وضع بعض مما نزل منهما في الآخر، ولا سيما وضع المكي في المدني؛ لأنه يقتضي أن تبقي آية أو آيتان أو أكثر من ذلك متروكة سنين طويلة من غير أن تلحق بسورة، ثم تستمر متروكة إلى أن تنزل سورة بعد هذه المدة الطويلة فتلحق بها، فإنها لا تلحق بها إلا إذا كانت مناسبة لها، وحينئذ لا يكون هناك حاجه لتقديم نزولها عليها، بل يكون المقبول في بداهة العقل تأخير نزولها إلى نزول السورة التي تلحق بها.

واستدل على ما قال بما يلي:

أولا: أن هذا التقسيم الثلاثي يتعارض مع تناسب آي السورة وارتباط بعضها ببعض المناسب لزمان نزول السورة، مما يلزم عنه وجود آيات مقطوعة الصلة بما قبلها.

ثانيا: مع تقسيم السورة إلى مكية ومدنية وتعارض خصائصهما ستوجد آيات من القرآن لا تنسجم مع خصائص السابق واللاحق. [1]

وحاصل رده لهذا التقسيم النظر في تناسب الآيات وسياقها، وأقول:

(أ) بناءً على المستقرِّ في معنى المكي والمدني من اعتبار الزمان حدًّا فاصلا بينهما، فجعلوا الهجرة حدًّا فاصلًا بين المكي والمدني، والمقصود بالهجرة من حين خروجه (ﷺ) من مكة لا استقراره بالمدينة، فما نزل بمكة ليلة خروجه منها مدني.[2] فالعبرة بالنقل الصحيح، والقياس السديد، وهما لا يمنعان التقسيم

(١) راجع: مقال بعنوان: نظرة جديدة في مكي السور ومدينها، بمجلة رسالة الإسلام. العدد ٤٧ –٤٨ ص٣٥٦.

(٢) انظر: حاشية القونوي (٣/٩).

الثلاثي، قد يقال: القياس يمنع؛ فإن بعض الآيات تتحدث عن أهل الكتاب والقياس يقتضي جعلها من المدني ونجد من الروايات ما يحكم بمكيتها.

ويرد: بأنه لا يلزم من وجود آيات في سورة مكية تتحدث عن أهل الكتاب أن تكون مدنية، كما لا يلزم من كون الآية في شأن أهل مكة أنها نزلت بها، بل قد تنزل بالمدينة حكاية عما وقع في مكة)[١] ولا يلزم من وجود « كلا» التي تخاطب عتاة المشركين غالبًا في سورةٍ أن تكون مكية، فقد تكون السورة مدنية و«كلا » إشارة إلى عُتُوٍّ سابق في مكة. أو لا تكون بمعنى الزجر والتهديد كما في سورة الانفطار.[٢]

(ب) وبناء على أن ترتيب المصحف غير ترتيب النزول فمن الممكن أن تُلحق بعض الآيات المدنية ببعض السور المكية من غير إخلال بسياق، بل انسجام هذه الآيات هو من إعجاز القرآن الكريم.

وهذه القضية تحتاج إلى دراسة وبسط لا يليق بالمقام.

٢. هل السورة مكية؟

في المسألة أقوال، الأول: ذهب الجمهور إلى مكية السورة، وهو المروي عن ابن عباسٍ في الأصح عنه.[٣] **الثاني:** وفي «الإتقان» عن عطاء عنه أنها مدنية.[٤] **الثالث:** وفي «القرطبي» عن ابن عباس أن ثلاث آيات منها مدنية وهي قوله تعالى: ﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ﴾ يونس: ٩٤ إلى قوله: ﴿ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾ يونس: ٩٧ وجزم بذلك القمي النيسابوري، وفي «ابن عطية» عن

(١) انظر: الصاوي على الجلالين (١١٦/٢).

(٢) انظر: مغني اللبيب بحاشية الدسوقي (٤٣٤/١).

(٣) انظر: روح المعاني (٥٥/٦).

(٤) انظر: الإتقان في علوم القرآن (٤٧/١).

مقاتل إلا آيتين مدنيتين هما: **(فإن كنت في شك)** إلى قوله: **(من الخاسرين)** [يونس: ٩٤- ٩٥]. وفيه عن الكلبي أن آية واحدة نزلت بالمدينة وهي قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ ﴾ إلى ﴿ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ يونس: ٤٠ نزلت في شأن اليهود.(١)

تحقيق هذه الأقوال

الصوابُ مكيةُ السورة كلها، أما الآية الأولى فمنشأ القول بمدنيتها ما جاء من تفسير قوله تعالى: {فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ} [يونس: ٩٤] بمن آمن منهم كعبد الله بن سلام وتميم الداري ونسب ذلك إلى ابن عباس وابن زيد.(٢) وتعقب بأن ابنَ سلام وغيره إنما أسلموا بالمدينة، وهذه السورة مكية، وينبغي أن يكون المراد الاستدلال على حقية المنزل والاستشهاد بما في الكتب المتقدمة على ما ذكر وأن القرآن مصدق لها.(٣) أي: ليس المقصود الإحالة على معين حتى نتكلف حملها على أشخاص، وإلى هذا ذهب مجاهد والضحاك. والشيخ عبدالمتعال الصعيدي حملها على ورقة بن نوفل باعتبار أنه الشخص الذي يمكن الرجوع إليه في مكة من علماء أهل الكتاب(٤)، ولا حاجة إلى هذا وحتى لا يرد أن ورقة مات قبل بدء الدعوة فلا يتأتى الرجوع إليه.

وأما الآية الثانية فظاهر جدًّا أن الخطاب لأهل مكة ولا تعرض لأمر اليهود، ومنشأ القول بمدنيتها ربط بعض السلف هذه الآية بقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ﴾ الرعد: ٣٦ على جهة

(١) انظر: التحرير والتنوير(٧٧/١١).
(٢) انظر: جامع البيان للطبري (٢٠١/١٥).
(٣) انظر: روح المعاني (١٧٨/٦).
(٤) راجع: مجلة الرسالة عدد (٥٠) ص ١٨٩.

البيان، قال الإمام الطبري: (حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله: **(والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك)**، قال: هذا مَنْ آمنَ برسول الله (ﷺ) من أهل الكتاب فيفرحون بذلك. وقرأ: ﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾ يونس: ٤٠)[١].

وهذا لا يلزم منه الحكم عليها بالمدنية، بل إنه استعان بهذه الآية في بيان المعنى، والقرآن من جهة البيان سورة واحدة. والله أعلم.

ثانيا: عدد آيات السورة

عِلم عدّ الآي علمٌ مستقل أفرده جماعة من العلماء بالتأليف والتصنيف، ومن أهمها« ناظمة الزهر في علم الفواصل»، واعتنى كثير من علماء التفسير ببيان عدد آيِ كل سورة. وعلماء العدد من حيث الجملة عراقيون، وحجازيون، وشاميون، فالعراقيون بصريون وكوفيون، والحجازيون مدنيون ومكيون، والشاميون دمشقيون وحمصيون، وتفصيل هذا في شرح ناظمة الزهر.

وآيات السورة: مائة وتسع عند الجميع غير الشامي فإنها عنده مائة وعشر آيات.[٢]

ثالثا: اسم السورة

وهنا أمران:

أولا: لطلب سر التسمية فائدة، وهي إن قلنا: إن أسماء السور ثبتت بالتوقيف فالتعرف على سرها تعرف على جانب من حكمة الله في قرآنه، وأن القرآن في غاية الحكمة كما أخبر عن نفسه، وإن كانت غير ثابتة بالتوقيف فالفائدة الوقوف

(١) فيه عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، ضعيف، رتبته عند ابن حجر : ضعيف ، رتبته عند الذهبي: ضعفوه. انظر: جامع البيان (٤٧٤/١٦).

(٢) انظر: روح المعاني (٥٥/٦).

على جهد الأئمة المجتهدين ومدى عنايتهم بالبحث في القرآن الكريم والوقــوف على حكمه وأسراره .

الثاني: إن كانت تسمية السورة بالعلم كالبقرة والعنكبوت سواء كان علم جنس كما سبق أو معنى كالتوبة أو أسماء لحروف هجائية كطه، أو كان في الأصل وصفاً يحتاج إلى موصوف فصار من باب الوصف العنواني الذي تنوسيت فيه هذه الحاجة كالأنبياء فإنه يطلب لها سر، أما إذا كان ذكر التسمية للتمييز لها عما عداها كأنت تقول: قرأت المص فلا يطلب لها سر.(١)

وهنا السورة تسمى بسورة يونس، والسبب ذكر قصة قوم يونس، ويرى العلامة محمد الطاهر بن عاشور أن التسمية للتمييز، فيقول: (والأظهر عندي أنها أضيفت إلى يونس تمييزا لها عن أخواتها الأربع المفتتحة ب «الر». ولذلك أضيفت كل واحدة منها إلى نبيء أو قوم نبيء عوضا عن أن يقال: **الر الأولى والر الثانية.** وهكذا فإن اشتهار السور بأسمائها أول ما يشيع بين المسلمين بأولى الكلمات التي تقع فيها وخاصة إذا كانت فواتحها حروفا مقطعة فكانوا يدعون تلك السور بآل حم وآل الر ونحو ذلك.)(٢)

والذي يظهر لي أن لها سرّا أوضحه عند الكلام على محور السورة.

---

(١) انظر: التفسير التحليلي لسورة النساء لفضيلة الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عبدالرحمن خليفه (رحمه الله) (ص ١٤ وما بعدها).

(٢) انظر: التحرير والتنوير (١١/٧٧).

رابعا: مناسبة السورة لما قبلها

للعلماء في معرفة مناسبة السورة لما قبلها سبيلان:

الأول: مسلك عام وهو النظر في موضوعي السورتين، أو الروح السارية في السورة السابقة والسورة التي بصدد تفسيرها، ثم عقد المناسبة بينهما.

الثاني: مسك خاص، وهو عقد المناسبة بين ختام السابقة وبداية السورة التي يراد تفسيرها، وهذا هو الغالب، أو بين فاتحتهما أو ختامهما، أو آية وسط السورة السابقة وآية وسط التي يراد تفسيرها، والقاعدة في هذا- كما قرر الإمام السيوطي- أن كل سورة تكون مكملة لمقاصد ما قبلها أو شارحة لإجمال ما قبلها.

وممن عُني بهذا العلامة شهاب الدين الألوسي في تفسيره غالبًا. وقد أغفل الإمام السيوطي في «تناسق الدرر» مناسبة السورة لما قبلها ولم يظهر له وجه الارتباط وذكر مناسبتها لسورة الأعراف.(١)

وفي بيان المسلك الأول أقول: إن السورتين يدور محورهما حول قضية الصدق مع النفس والاعتراف بالحق عند ثبوته، فسورة التوبة تدور أحداثها حول المنافقين وكذبهم وخداعهم، وأنه تنزل عليهم الآيات والمصائب ولا ينتفعون ولا يتذكرون. وفي سورة يونس درات أحداثها مع مشركي مكة وعدم اعتبارهم بالآيات وانتفاعهم بها، كما سيأتيك في بيان محورها.

وفي المسلك الثاني أقول:

(أ) مناسبة ختام السورة السابقة مع بداية السورة

المناسبة أنّ خاتمة السورة قبلها بذكر الرسول (ﷺ) وابتداء هذه به.(٢)

---

(١) انظر: تناسق الدرر في تناسب الآيات والسور (ص٩٣) أسرار ترتيب القرآن للسيوطي (ص٦٣-٩٤).

(٢) انظر: حاشية الشهاب (٣٨١/٤).

(ب) مناسبة آية وسط السورة السابقة وآية وسط التي يراد تفسيرها.

* أيضًا أن في الأول بيانا لما يقوله المنافقون عند نزول سورة من القرآن، وفي هذه بيان لما يقوله الكفار في القرآن حيث قال سبحانه: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ ﴾ يونس: ٣٨ الآية، وقال جل وعلا: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ﴾ يونس: ١٥ .

* وأيضا في الأولى ذم المنافقين بعدم التوبة والتذكر إذا أصابهم البلاء في قوله سبحانه: ﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ التوبة: ١٢٦ على أحد الأقوال وفي هذه ذم لمن يصيبه البلاء فيرعوي ثم يعود وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ﴾ يونس: ١٢ وفي قوله سبحانه: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ يونس: ٢٢ إلى أن قال سبحانه: ﴿ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ يونس: ٢٣.

* وأيضا في الأولى براءة الرسول (ﷺ) من المشركين مع الأمر بقتالهم على أتم وجه وفي هذه براءته (ﷺ) من عملهم لكن من دون أمر بقتال بل أمر فيها (ﷺ) أن يظهر البراءة فيها على وجه يشعر بالإعراض وتخلية السبيل كما قيل على ضد ما في الأولى وهذا نوع من المناسبة أيضا وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ يونس: ٤١ إلى غير ذلك.[1]

(١) انظر: روح المعاني (٦/٥٥).

خامسا: محور السورة.

١. أهمية الوقوف على محور السورة

تكلم البعض حول محور السورة، فيراه البعض فكرة أو موضوعا يمكن أن نستنبطه من موضوعات السورة، مثل أن نقول إن موضوع سورة النساء هو العدالة، وممن اعتنى بهذا الشيخ محمود شلتوت في تفسير الأجزاء العشرة الأولى من القرآن الكريم، وعبر عنه بمقصد السورة، وكان يفكر في محتوى السورة حتى يستخلص فكرة أو فكرتين دارت موضوعات السورة حولها.

ويراه البعض آية قرآنية تمثل العقد التي تتمحور حوله موضوعات السورة، وهي تمثل بدقة محور السورة، ولم أجد من اعتنى بهذا الاتجاه، وأذكر هنا تطبيقًا على السورة لكريمة لهذه الفكرة.

٢. محور السورة:

تدور السورة حول قضية إثبات حقية القرآن الكريم وأنه وحي من عند الله، وحقية الألوهية والمعاد، وأن عاقبة المنتفعين بالوحي الحسنى وزيادة، وعاقبة المكذبين الذل والشقاوة. والآية التي يمكن أن تكون محورها هي قوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ يونس: ٩٨. ومما يدل على محورها:

١. اسم السورة: سميت بهذا الاسم؛ تقريرا لهذا المعنى فهي تحكي عن قوم يونس الذين انتفعوا بالدلائل الكونية فآمنوا وأقروا بالرسالة والبعث فوقاهم الله العذاب والخزي، ففي التسمية بهذا الاسم سر وليست لمجرد التمييز.

٢. بداية السورة: إثبات حقية الرسول وحقية القرآن وأنه وحي من عند الله، حيث كانت مقدمة السورة تمهيدًا وتوطئةً لبيان إنكار المشركين للرسالة والقرآن وعدم الانتفاع بالهداية القرآنية.

٣. ختام السورة: قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ يونس: ١٠٨ – ١٠٩تبين عاقبة المنتفعين بالهداية القرآنية ومن ضل عنها.

ودارت موضوعات السورة حول تقرير هذا المقصد، عرضت:

(١) لشبه كفار قريش حول القرآن والبعث:

(أ) تعجبهم من بشرية الرسول. (ب) طلب تغيير آيات من القرآن. (ج) طلب آيات عذاب تدل على تنزيله.

(٢) ثم عرضت لتحديهم به. انتقلت من إبطال شبههم إلى تحديهم بـــه، قـــال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ يونس: ٣٧ **الآيات.**

(٣) ودعوتهم إلى تصديقه: قال تالي: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ يونس: ٥٧، وذكرتْ عددا من قصص المكذبين لرسلهم وما حدث معهم.

ثم الخاتمة في تقرير عدم الإكراه على الدعوة والحث على النظر والتأمل في الآيات.

الفصل الأول: وصف آيات القرآن الكريم بالحكمة

قال تعالى: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ يونس: ١.

المبحث الأول

المعاني اللغوية والبلاغية في الآية الكريمة

ما الذي وضعه أهل اللغة لأحرف التهجي؟ أقول:

١. الحرف[١] إما أن يجئ لمعنًى أوْ لا، الأول هو الحرف قسيم الاسم والفعل، والثاني هو حرف التهجي والبناء، وحروف التهجي حقيقة هي أ ب َ تَ، أما الألف والباء والتاء فهي أسماؤها[٢].

٢. أن حروف التهجي موضوعة لغرض التركيب لا لمعنى[٣].

---

(١) الحرف هو ما دل على معنى غير مستقل بالفهم ولا مقصود بالملاحظة، بل آلة وتابع لفهم حال غيره وهو المتعلق، حتى إذا قصد بالملاحظة صار معنى مستقلا، وهذا أحد المذاهب في معنى الحرف، والمذهب الآخر أن الحرف يدل على معنى في نفسه إلا أن معناه ليس بتام، بل يحتاج إلى الغير.

وترتب عليه فهم معنى الوضع اللفظي هل هو تعيين اللفظ للدلالة على معنى بنفسه فيشمل الحرف على الثاني دون الأول.

انظر: نتائج الأفكار شرح إظهار الأسرار الشيخ مصطفى بن حمزة (ص١٧) الدسوقي على المختصر (١١/٤) الأشباه والنظائر في النحو (١٦/٢) بغية الكامل السامي شرح المحصول والحاصل للجامي محمد موسى الروحاني البازي (ص٣٢).

(٢) ينظر: فتح البرية على الدرة البهية لشيخ الإسلام الباجوري ص٨، ط/ مصطفى الحلبي.

(٣) شرح الملا جامي على الكافية (٤)، شرح محرم أفندي على الجامي (١٩).

قالوا: المراد بالوضع هنا التعيين لا الوضع الحقيقي؛ لأن الوضع حقيقية هو وضع الشيء لمعنى، وهو يستلزم الدلالة على المعنى.(١) وأحرف التهجي موضوعة لغرض البناء لا المعنى.

هل وَضْع حروف التهجي بغرض التركيب يجعلها من المهملات(٢)؟ التحقيق أن وضعها للتركيب يكفي في كونها مفهمة، والمهمل هو ما لم يوضع أصلًا لا لغرض التركيب ولا بإزاء المعنى(٣).

وأما أسماء حروف التهجي (الألف) فإنها موضوعة لمسمايتها (أ) قال العلامة العصام: المعنى ما يُقصد بشيء، سواء كان لفظًا كمعاني أسماء حروف الهجاء أو غيره.(٤) وُضعتْ؛ لتُستعمل مفردات لتعليم الصبيان ومن يجري مجراهم.

---

(١) حاشية محمد أمين على العصام على ملا جامي (ص٢٤).

(٢) المهمل بزنة اسم مفعول الإبل ونحوها تترك بغير راع، ثم استعير لما لم يوضع أو جعل مجازاً مرسلاً عن مطلق الترك وصار هذا حقيقة في الاصطلاح. انظر: حاشية الشهاب (٢٦٣/١).

(٣) قال العلامة العصام في حاشيته على البيضاوي:(يكفي في كونها مُفهِمة كونها موضوعة لحروف الهجاء إلا أن يقال: هذا إفهام تصور لم يتعلق به حكم فلا يخرجه عن أن يكون كالمهمل..).

ويرد بأن المتبادر من المهمل ما لم يوضع أصلًا لا لغرض التركيب ولا بإزاء المعنى، فلفظ "ديز" مثلا لم يوضع بهذا الوضع وإن وقع جزءًا من الكلام بخلاف حروف الهَجَاء فإنها وضعت لغرض التركيب، بل بعضها موضوعة بإزاء المعنى كهمزة الاستفهام ولام الجر.

انظر: حاشية العصام على البيضاوي (ص٢٢) مخطوط، حاشية محمد أمين على العصام (ص٢١).

(٤) انظر: شرح العصام على الكافية (ص٨).

وهل هذا معنى؟ نعم؛ لأن المعنى – كما قُرر – ما قُصد من الدالّ، سواء كان لفظًا أم لا .وبهذا يظهر أن ما ذهب إليه شيخ الإسلام مصطفى صبري من أن فواتح السور من المتشابه اللفظي الذي لا يفهم معناه اللغوي غير دقيق.[١]

وألف لام ميم أسماء؛ لانطباق حدّ الاسم عليها، وهي دلالتها على معنى وهو حروف المباني مستقل بالمفهومية والتلفظ دون اقتران بأحد الأزمنة، ودخول علامات الاسم عليها من التعريف والتنوين..الخ. هذا ما يتعلق بأحرف التهجي من حيث الوضع باختصار.

قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ يونس: ١ فيه مسائل:

المسألة الأولى: في اسم الإشارة (تلك)

(أ) المعنى الوضعي لاسم الإشارة:

"تلك" إشارة للبعيد المؤنث، وأصلها "تي" فحذفوا الياء وسكنوا اللام[٢] والأصل في المشار إليه أن يكون محسوسًا بالبصر حاضرًا، فاستعماله في غيره مجاز بالاستعارة التصريحية الأصلية أو التبعية على خلاف في ذلك.[٣]

(ب) النكتة البلاغية في الإتيان بالمسند إليه اسم إشارة.

* يعبر عن المسند إليه باسم الإشارة؛ لتمييزه أكمل تمييز، وهذا إذا كان المقام مقام مدح أو مقام إجراء أوصاف الرفعة عليه، فإن تمييزه حينئذٍ تمييزًا كاملًا أعون على كمال المدح.[٤]

---

(١) انظر: موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين (١٩٢/١).

(٢) الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي (٢٦٧/٢).

(٣) انظر: حاشية الصبان على الأشموني (٢٠٢/١).

(٤) انظر: الدسوقي على المختصر (٣١٤/١).

* ويؤتى بالمسند إليه اسم إشارة للبعيد؛ لقصد تعظيم معناه بسبب دلالته على البعد نظرًا إلى أن البعيد شأنه العظمة، إذ لا ينال بالأيدي.(١)

(ج) المشار إليه في الآية

والمشار إليه في الآية إما أن يكون (الر) بمعنى أنها مسرودة على نمط التعديدِ(٢) وصحت الإشارة إليها مع أن الأصل في الإشارة المشاهد المحسوس بتنزيل مادتها (الر) منزلة ذكرها، والمعنى من جنسها حروف الكتاب الحكيم، أي: جميع تراكيبه من جنس تلك الحروف.

وأما على تقديرِ كونِ (الر) اسماً للسورة تكون النكتة البلاغية حينئذٍ التنويه بالإشارة إليها بعد تنويهِها بتعيين اسمِها.

وإما أن تكون الإشارة للسورة، والإشارةُ إليها (السورة) وهي لم تنزل كلها بعد لما أنها تنزل شيئا فشيئا، فكأنها في حكم المشاهد.(٣)

المسألة الثانية: في معنى الآية

والآيات جمع آية، والآية تطلق في لسان اللغة بإطلاقات:

أولها: المعجزة. ومنه قوله تعالى: ﴿ سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ﴾ البقرة: ٢١١ أي: معجزة واضحة. **ثانيها:** العلامة. ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ البقرة: ٢٤٨ أي: علامة ملكه. **ثالثها:** العبرة. ومنه قوله تعالى: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً} أي: عبرة لمن يعتبر. **رابعها:** الأمر العجيب. ومنه قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً ﴾ المؤمنون:

(١) انظر: الدسوقي على المختصر (٣١٧/١).

(٢) أي: خالية من العامل، سُردت سرد الأعداد، كما تقول: واحدْ، اثنانْ.

(٣) راجع: تفسير أبي السعود (١١٥/٤) التحرير والتنوير (٨٠/١١ وما بعدها).

٥٠، **خامسها:** الجماعة. ومنه قولهم: خرج القوم بآيتهم، أي: بجماعتهم. والمعنى أنهم لم يدعوا وراءهم شيئا. **سادسها:** البرهان والدليل.(١)

مأخذ الاشتقاق(٢): قال الراغب: إنها مشتقة من التأيِّي الذي هو التثبت والتوقف والبقاء.(٣) يقال: وتَأَيَّا، أي: توقَّف وَتَمَكّثَ، تقديره تَعَيَّا. يقال: ليس منزلكم هذا منزل تَئِيَّةٍ.(٤) والمناسبة بين الآية ومأخذ اشتقاقها أن الآية القرآنية ثابتة وباقية لفظاً ومعنى.

وفي أصلها(٥): حقق العلامة الشيخ/ **محمود شاكر** أن أصل الآية العلامة، ومنه خرجت بقية المعاني، فقالوا لآثار الديار أيام مُقام أهلها بها وقبل أن تغيرها وتطمس بعض معالمها الرياحُ آيات الديار، ثم قالوا للبناء العالي الذي بني ليُستدل به آية، ثم قالوا لشخص الرجل وجثمانه الذي يرى من بعيد غيرِ بَين الملامح آية، ثم قالوا لكل شيء تسمعه أو تراه فيذكرك بشيء نسيته أو غفلت عنه وهو العبرة آية...(٦)

---

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن (٣٣٩/١) القاموس المحيط ص٥٧٠، مخطوط سلطان أحمد خان، نسخة ملوكية نفيسة وتامة من القاموس المحيط مكتوبة بمدينة زبيد ومصححة ومقابلة من أولها إلى آخرها على النسخة المزجاجية الشهيرة بالصحة.

(٢) هو الملحظ الذي تحقق في مسماه فلفت نظر العربي إليه، فعبر عنه باللفظ الذي صار اسما للشيء المسمى كله، وهو المعنى الاشتقاقي الخاص.

(٣) انظر: مفردات ألفاظ القرآن مادة أي.

(٤) الصحاح للجوهري، مادة: أيا. تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي مادة أيي.

(٥) الأصل له معان في اللغة فيكون بمعنى ما يبني عليه غيره، وبمعنى المحتاج إليه كما في المحصول، وبمعنى ما يستند تحقق الشيء إليه كما في المنتهى، وما منه الشيء ومنشؤه، والمراد هنا المعنى المحوري الذي يتحقق في كل الاستعمالات المصوغة من هذا الجذر. وهو المعنى الاشتقاقي العام.

(٦) ينظر: تفصيل الكلام كتاب مداخل إعجاز القرآن ص١٢٦ إلى ص١٣٢، ط/ دار المدني بجدة.

الآية في اصطلاح علوم القرآن:

اختار العلامة الشاطبي من المعاني اللغوية للكلمة معنيين، وهما الجماعة والعلامة، ثم فرع عليهما تعريفين، فقال:

والآيةُ من معنى الجماعةِ أو من الـــ * علامةِ مبناها على خـــير ما جُدر

فإمـــــا حروفٌ في جماعتهـــا غنًي * وإما حروفٌ في دلالة مـــن يَقري

فعلى تقدير كونها منقولة من معنى الجماعة تعرف الآية: (بأنها طائفةٌ من القرآن ذاتُ مبدأ ومقطع، مستغنيةٌ عما قبلها وما بعدها، تحقيقًا أو تقديرًا، غيرُ مشتملة على مثلها)

محترزات التعريف:

١- **قوله:** (طائفة من القرآن) جنس في التعريف، وشأن الجنس الإدخال.

٢- **قوله:** (ذات مبدأ ومقطع) أي: عُلم بالتوقيف ذلك، خرج: كلمـــات مـــن القرآن ليس لها مبدأ ولا مقطع.

٣- **قوله:** (مستغنية عما قبلها وما بعدها، تحقيقا أو تقديرا) دخل الآية التـــي في الأثناء فإنها مستغنية عما قبلها وما بعدها تحقيقا، وأول آية من القرآن وآخر آية من القرآن، فإن أول آية لم يكن قبلها آية فهي مستغنية عما قبلها على تقدير قبلها آية، وآخر آية من القرآن ليس بعدها آية فهي مستغنية تقديرا.

٤- **قوله:** (غير مشتملة على مثلها) صفة للآية، أخرج السورة فإنها يصدق عليها أنها طائفة ...الخ لكنها مشتملة على مثلها.

وعلى تقدير أنها مأخوذة من العلامة تعرّف بأنها: (حروفٌ من القرآن ذاتُ مبدأ ومقطع عُلم بالتوقيف من الشارع، جُعلت دلالة وعلامة على انقطاع الكلام، أو على صدق المخبر بها، أو على عجز المتحدَّى بها، بناءً على أن التحدي يقع بالآية.[١]

(١) انظر: بشير اليسر شرح ناظمة الزهر الشيخ عبد الفتاح القاضي (ص٤٤ إلى ٤٦).

المسألة الثالثة: في كلمة الكتاب

التحقيق في كلمة «كتب» أن أول مأخذ اشتقاقها من «كتب السِّقَاء والمزَادة كَتْبًا» إذا خَرَزَهما فهو كاتب، أي: خرَّاز. وفيه معنى الضم والجمع.(١)

ففي هذا رجوع بالكلمة لشيء محسوس قديم وهو الأصل، فإذا تردد لفظ بين مأخذين أحدهما حسي والآخر عرض فالأوْلى الأول.(٢) ولا يخفى أنه لوحظ فيه الضم والجمع، ورُجح على من قال: إن أصله من كتبت؛ لسبق معرفة العرب بالسقاء قبل الكتابة.

وهل الكتاب حقيقةٌ في المجموع عبارة أو خطًّا؟

---

(١) بالرجوع إلى المعاجم وكتب اللغة نجد أن الكثير منها أهمل أصل الكلمة، فيقول صاحب « القاموس»: (كَتَبَه كَتْباً وكِتاباً: خَطَّه).

وقال ابن فارس: ((كتب) الكاف والتاء والباء أصل صحيح واحد يدل على جمع شيء إلى شيء، من ذلك الكتاب والكتابة.)

وحقق صاحب« الجاسوس» على « القاموس» أن أصل الكلمة للسِقاء، فقال: (ومما أحسبه من الخلل– أيضًا– تقديم المجاز على الحقيقة أو العدول عن تفسير الألفاظ بحسب أصل وضعها.

مثال ذلك لفظة "كتب" فإن الجَوهري ابتدأ هذه المادة بقوله:" الكتاب معروف"، وصاحب القاموس بقوله:" كتبه كتبا وكتابا خطه"، ومثله صاحب المصباح والزمخشري مع أن أصل الكتب في اللغة للسقآء يقال: كتب السِقآء أي: خرزه بسيرين، وهو من معنى الضم والجمع، ومنه الكتيبة للجيش ثم نقل هذا المعنى إلى كتب الكتاب وحقيقة معناه ضم حرف الى آخر، وإنما قلت: إن أصل الكتب للسقآء؛ لأن العرب عرفت السقآء واحتاجت إلى الشرب منه وإلى إصلاحه قبل أن تعرف الكتابة، ولو عرفت ما للقربة من الأسماء والصفات لهزك العجب) انظر: الجاسوس على القاموس المؤلف: أحمد فارس أفندي (ص١١).

(٢) انظر: رسالة الاشتقاق لأبي بكر محمد بن السري السراج (ص٢٤)، تحقيق: محمد علي الدرويش.

قرر المنلا خسرو أن الكتاب في أصل اللغة بمعنى المجموع مطلقا، وهو حقيقة في المنظوم عبارة كالخط خلافا للعلامة البيضاوي حيث جعل الأصل في الكتابة النظم بالخط ثم استعير للمنظوم عبارة، قال: (وهو مصدر سمي به المفعول للمبالغة، وقيل فعال بمعنى المفعول كاللباس[١]، ثم أطلق على المنظوم عبارة قبل أن يكتب؛ لأنه مما يكتب)اللهم أن يقال قد هجر هذا المعنى في العرف العام، واشتهر الكتب والكتابة في معنى الخط والرقم.[٢]

المسألة الرابعة: في معنى الإضافة في قوله تعالى: (آيات الكتاب).[٣]

(١) الفرق بينهما هو على الأول مجاز، وعلى الثاني حقيقة.

(٢) انظر: حاشية المنلا خسرو على البيضاوي (ص٧١).

(٣) الإضافة إما أن تكون غير محضة (لفظية) وهي عبارة عما اجتمع فيها أمران: أن يكون المضاف صفة بمعنى الحال أو الاستقبال والمضاف إليه معمولا لتلك الصفة، وذلك يقع في ثلاثة أبواب: اسم الفاعل والمفعول والصفة المشبهة. وإما أن تكون محضة (معنوية) وهي عبارة عما انتفى فيها الأمران أو أحدهما، وكل شيء إضافته غير محضة فإنه يجوز أن تصير محضة بأن يراد منه المضي إلا الصفة المشبهة فهي دائما من إضافة الوصف لمعمولها، وهي بمعنى الحال فلا تتعرف. والاضافة المحضة على ثَلَاثَة أَقسَام: أَحدهَا: أَن تكون على معنى فِي، وَذَلِكَ اذا كَانَ الْمُضَاف إليه ظرفا للمضاف، نَحْو:" بل مكر اللَّيْل". الثَّانِي: أَن تكون على معنى "من" البيانية، وَذَلِكَ اذا كَانَ الْمُضَاف اليه جنسًا وأصلًا للمضاف وَيصِح الإخبار بِهِ عَنهُ كـ" خَاتم حَدِيد وَبَاب سَاج: بِخِلَاف نَحْو:" يَد زيد" فَإِنَّهُ لَا يَصح أَن يخبر عَن الْيَد بِأَنَّهَا زيد. الثَّالِث: أَن تكون على معنى اللَّام وَذَلِكَ فِيمَا بَقِي نَحْو:" غُلَام زيد، وَيَد زيد". والضابط أنه بالنظر إلى النسبة بين المضافين والعلاقة بينهما تتحدد معنى الإضافة:

(أ) فإن كان المضاف إليه مباينًا للمضاف، وكان ظرفًا له فالإضافة بمعنى في، وإلا بمعنى اللام.

(ب) وإن كان أخص مطلقا كعلم الفقه فالإضافة بمعنى اللام. =

الإضافة هنا في قوله تعالى: (آيات الكتاب) بمعنى من البيانية؛ لأن المضاف إليه أصل للمضاف، والعلاقة بينهما العموم والخصوص الوجهي.[١]

ب) السر البلاغي من الإضافة.[٢]

ما المعنى البلاغي من إضافة الآيات على الكتاب، ولماذا لم يقل تلك الآيات المحكمة؟

السر من الإتيان بالإضافة البيانية الإشعار بأنها بعض من الكتاب، ومن ثم تتصف بما اتصف به الكتاب من الصفات الجليلة، والنعوت الفاضلة.[٣]

المسألة الخامسة: في معنى الحكيم

(حكيم) فعيل بمعنى فاعل من حكم، وهو العالم وصاحب الحكمة أو بمعنى مفعول[٤] وأصل المادة يدل على المنع، وكل جزئياتها وماصدقاتها يُلمح فيه

(ج) وإن كان أخص من وجهٍ، فإن كان المضاف إليه أصلًا للمضاف فالإضافة بمعنى مِن، وإلا بمعنى اللام.

أما إذا كانت العلاقة المساواة كليث وأسد فممتنعة؛ لأنه من إضافة الشيء لنفسه، أو العموم المطلق كأحد اليوم فهي ممتنعة.

يراجع: المفصل في صنعة الإعراب للزمخشري (ص١٤٣) وملا جامي على الكافية (ص١٢٠)، نتائج الأفكار شرح إظهار الأسرار (٨٠ وما بعدها) مغني اللبيب بحاشية الدسوقي (١١٧٨/٢).

(١) العموم والخصوص الوجهي يجتمع الكليان في مادة، وينفرد كل منهما في مادة.

(٢) تخصيص المسند بالإضافة او الوصف لتمام الفائدة. لتكون الفائدة في التركيب أكمل وأتم؛ لأن المعنى كلما ازداد فيه الخصوص ازداد تمامه وكماله. انظر: شروح التلخيص (٩٢/٢).

(٣) انظر: تفسير أبي السعود (١١٥/٤).

(٤) انظر: مختار الصحاح مادة حكم.

المنع. قال ابن فارس: (الحاء والكاف والميم أصل واحد، وهو المنع، وأول ذلك[١] الحُكم، وهو المنع من الظلم. وسميت حكمة الدابة؛ لأنها تمنعها، يقال: حكمت الدابة وأحكمتها. ويقال: حكمت السفيه وأحكمته، إذا أخذت على يديه.)[٢]

وفيه يقال: إن الأصل من حكمة اللجام؛ لأن العربي يشتق الكلمة من محسوس غالبًا، فالأولى أن تكون من حكمة اللجام، يقول ابن دريد في كتابه «الاشتقاق»: (وأَصْلُه من حَكَمة الدابَّة، وهي التي تضمُّ خَطْمَها من حديدٍ أو قدٍّ.)[٣]

النكتة البلاغية من إسناد الحكمة إلى الآيات وهي لصاحبها

إذا كان حكيم بمعنى فاعل فالحكيم وصف للقائل لا للآيات، فكيف وقع صفة لها؟ أجيب بعدة أجوبة:

١- أن فعيلًا صيغة نسبة، أي: حكمة منسوبة للآيات.

٢- أو من باب الاستعارة المكنيةِ[٤] المبنيةِ على تشبيه الكتابِ بالناطق بالحكمة، وبيانها: شبه الكتاب بإنسانٍ ناطق بالحكمة، ثم حذف المشبه به وهو الإنسان ورُمز إليه بشيء من لوازمه وهي الحكمة.

---

(١) أي: الوضع الأول.

(٢) انظر: مقاييس اللغة مادة حكم.

(٣) انظر: الاشتقاق لأبي بكر محمد بن السري السراج (ص ٧٦).

(٤) إذا ذكر في الكلام لفظ المشبه فقط، وحذف فيه المشبه به، وأشير إليه بذكر لازمه: المسمى «تخييلاً» فاستعارة مكنية. انظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع المؤلف: أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (المتوفى: ١٣٦٢هـ) (٢٦٠).

٣- أو هو من باب وصفِ الكلامِ بصفة صاحبِه، فيكون مجازا في ا لإسناد، كما في "نهاره صائم وليله قائم".(١)

وعلى الثاني يكون حكيم فعيل بمعنى مفعَل، فحِينَئِذٍ لا يكون مَجَازًا لا في اللغة ولا في الإسناد بل هُوَ حَقِيقَة. أي: محكم آياته.

(١) انظر: حاشية الشهاب (٣/٥) حاشية قطب الدين الرازي على الكشاف (ص٢١٨) مخطوط.

المبحث الثاني
في التفسير

المسألة الأولى: في معنى الأحرف المقطعة

تكلم العلماء حول هذه الفواتح من عدة مباحث، والإمام السيوطي في كتابه «التحدث بنعمة الله» يقرر أنه يتعلق بها سبعة مطالب من عرفها فهو من العلماء وإلا فهو من الأطفال[١].

وبحسب المقام هنا أتكلم عن معانيها المشهورة وإعرابها فأقول: رجح الإمام السيوطي في «الفتاوي» وفي «حاشيته على البيضاوي» أنها من المتشابه، قال: (والذي أختاره أنها من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله)[٢] ومرادهم بأنها من المتشابه عدم العلم بالمراد منها، لا أصل معناها، فهذا لم يقل به أحد إلا الحشوية على ما يأتي.[٣]

وذهب آخرون إلى أنها معلومة، لها معنى في الوضع العربي، وأراد الله منها معانٍ يمكن الوقوف عليها، انطلاقا من أنه لا يجوز أن يرد في القرآن

---

(١) انظر: التحدث بنعمة الله(ص١٧٤).

(٢) انظر: الحاوي للفتاوي (٣٧٤/٢) الدسوقي على مغني اللبيب (١١٣٠/٢) الظاهرة القرآنية مالك بن نبي (ص٢٧٣).

(٣) قال العلامة الصاوي تعليقا على قول الجلال السيوطي في التفسير: (قوله: (الله أعلم بمراده بذلك) أشار بهذا إلى أرجح الأقوال في هذه الأحرف التي ابتدأ بها تلك السور، وهو أنها من المتشابه جرياً على مذهب السلف القائلين باختصاص الله تعالى بعلم المراد منه).

انظر: حاشية الصاوي على الجلالين (٦/١) حاشية نسمات الأسحار (٩٩).

الكريم لفظ غير معلوم المعنى[١] خلافا للحشوية. وفي «كشف الأسرار شرح أصول البزدوي»: (والدليل على أنها ليست من المتشابهات تأويل بعض السلف مثل ابن عباس وغيره هذه الحروف من غير رد وإنكار عليهم من الباقين)[٢].

واشتهر عند المفسرين قولان:

(١) أنها أسماء المسميات، وردت مسرودة على نمط التعديد[٣] للتحدي والإعجاز، ورجحه الزمخشري[٤]، والعلامة أبو السعود[٥] وقرره البيضاوي ثم عدّ الباقي بقيل، لكن الزمخشري جعل هذا **الوجه وجهين، الأول:** الإيقاظ، **والثاني:** أنها مقدمة لدلائل الإعجاز والبيضاوي جعلهما وجها واحدا، فتأمل. ثم قالوا في تقرير هذا المعنى أن المراد بها المسميات أطلق الاسم (ألف) وأراد المسمى (أ) والغرض من هذا التحدي والإعجاز، وبيان هذا:

---

(١) اضطربت أقوال العلماء في تحرير محل النزاع، جعل صاحب مسلم الثبوت والمحلي على جمع الجوامع محل النزاع بيننا وبين الحشوية في ورود ما لا معنى له في القرآن. وهو التحقيق، خلافا لمن جعله فيما له معنى لكن لا يعرف المراد منه. وقرر الشيخ عبدالرحمن الشربيني أن التمثيل بالأحرف المقطعة على أنها لا معنى لها لم يقل به أحد، بل الكلام في المعنى المراد.

انظر: فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت (١٧/٢) حاشية العطار على جمع الجوامع (٣٠٢/١) ومعه التقريرات.

(٢) انظر: كشف الأسرار شرح أصول البزدوي (١/ ٥٨).

(٣) أي: خالية من العامل.

(٤) قال: (وهذا القول من القوة والخلاقة بالقبول بمنزل).

(٥) قال: وإما كونها مسرودة على نمط التعديدِ وإليه جنَح أهلُ التحقيق.

أولا: أنها تُنبه على وجه الإعجاز والتحدي.

بيّن المفسرون أن هذه الفواتح تقرر وتنبه على إعجاز القرآن الكريم من عدة وجوه:

الوجه الأول في تقرير جهة الدلالة[1] بالنظر إلى حال الكلام: أن أصل المتلو عليهم كلام منظوم مما ينظمون منه كلامهم، فلو كان من عند غير الله لما عجزوا عن آخرهم مع تظاهرهم وقوة فصاحتهم عن الإتيان بما يدانيه.

الوجه الثاني: في تقرير جهة الدلالة بالنظر إلى حال المتكلم: أن النطق بأسماء الحروف مختص بمن خط ودرس، فأما من الأمي الذي لم يخالط الكتاب فمستبعد مستغرب خارق للعادة كالكتابة والتلاوة، سيما وقد راعى في ذلك ما يعجز عنه الأديب الأريب الفائق في فَنه.[2] فجهة الدلالة هنا التلفظ بهذه الأسامي الواقعة في فواتح السور من الشخص الأمي؛ فإن هذه الأسامي مشتملة على فوائد يستحيل أن يتلفظ بها أمي إلا من جهة الوحي.

ورُدّ: بأن العسير على الأمي هو قراءتها مكتوبة، أما نطقها فهذا أمر يشترك فيه الأمي وغيره، فإنك إذا قلت للأمي: ما أول حروف ضرب؟ نطق بالضاد.[3]

الوجه الثالث: في تقرير جهة الدلالة من حيث صفاتُها ودوارنها في الكلام.

قال صاحب «الكشاف»: (واعلم أنك إذا تأملت ما أورده اللَّه عز سلطانه في الفواتح من هذه الأسماء. وجدتها نصف أسامى حروف المعجم أربعة عشر

---

(١) جهة الدلالة كما قال السيد الشريف (أمر ثابت للدليل ينتقل الذهن بملاحظته من الدليل إلى المدلول كالحدوث والإمكان للعالم) انظر: شرح المواقف للمحقق السيد الشريف الجرجاني (١/ ٢٥٠) ط/المكتبة الأزهرية. حاشية البناني (٢٠٤/١).

(٢) انظر: تفسير البيضاوي بحاشية الكازروني (٤٣/١) حاشية القطب التحتاني على الكشاف (١٦) (التحرير والتنوير (٢١٥/١).

(٣) انظر: المحكم والمتشابه أ.د/ إبراهيم عبدالرحمن خليفة (رحمه الله) (ص ٨٥٢).

سواء، وهي: الألف، واللام، والميم، والصاد، والراء، والكاف، والهاء، والياء، والعين، والطاء، والسين، والحاء، والقاف، والنون – في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم.... ثم إذا استقريت الكلم وتراكيبها، رأيت الحروف التي ألغى الله ذكرها من هذه الأجناس المعدودة مكثورة بالمذكورة منها، فسبحان الذي دقت في كل شيء حكمته.)[١]

ثانيا: وجود المناسبة بين هذه الفواتح وبين ما بعدها من الحديث عن الكتاب والقرآن غالبًا موصوفاً بأوصافه السامية الشاهدة بكونه من عند الله، مما يؤكد أن الغرض منها التحدي بالقرآن، وخلو بعضها عن هذه المناسبة لا يقدح في التحدي والإعجاز، غاية ما هنا لك أنه اكتفى بالبعض عن البعض[٢].

ثالثا: أنها رسمت بالمسميات (ص – ق – ن) دون الأسماء (صاد– قاف – نون) إشارة إلى هذه الفائدة، وهذا الرسم يقوي هذا المعنى ويضعف أنها أسماء للسور؛ إذ لو كانت كذلك لرسمت بألف لام ميم لا الم، على ما هو من قاعدة الخط أن التسمية بأسماء الحروف تكتب على صورة الأسماء[٣] فالعرب إذا لم يقصدوا معنى الحرف عبروا عنه بذوات الحروف، وإذا قصدوا معنى الحرف عبروا عنه بأسماء الحروف.

---

(١) انظر: الكشاف بحاشية الطيبي (٣٧/٢).

(٢) انظر: التحرير والتنوير (٢١٢/١)، المحكم والمتشابه، أ.د/ عبدالرحمن خليفة (رحمه الله) (ص ٨٥٠).

(٣) انظر: حاشية السعد على الكشاف (ص٢٠)،حاشية القطب الرازي على الكشاف (ص١٥) صبح الأعشى في كتابة الإنشا (١٧٧/٣) المحكم والمتشابه، أ.د/ عبدالرحمن خليفة (رحمه الله) (ص ٨٥٢).

رابعًا: أن دلالة هذه الفواتح على التحدي والإعجاز من قبيل الدلالة العقلية[١]، كصوت المتكلم من وراء جدار، يدل عقلًا أنها ما وراءه حي، وهنا لما صدّر الكلام بهذه الحروف وليس المراد إلا إفادة مسماها والمتكلم بليغ يصون كلامه عن العبث دل عقلاً على أنّ المراد به الإشارة إلى أنّ ما بعده كلام مركب، ونحن إذا سمعنا المعلم يهجي طفلا علمنا منه أنه سيقرئه والتنبيه على هذا بخصوصه مع أنه كلام مركب منها لا بد له من وجه، وهو تحديهم بالقرآن الكريم[٢]

خامسًا: من حيث العد، قال العلامة محمد الطاهر بن عاشور: يترجح مذهب الكوفيين أنها آيات؛ لأن لها دلالة تعريضية كنائية؛ إذ المقصود إظهار عجزهم أو نحو ذلك فهي تطابق مقتضى الحال[٣] مع ما يعقبها من الكلام، ولا يشترط في

---

(١) قال العلامة العصام: الدال إن دل لعلاقة لازمة لنفس الدال فالدلالة عقلية، كدلالة لفظ ديز على وجود اللافظ؛ فإن العقل يحكم بكونه دالا بملاحظة حال اللفظ في نفسه اهـ.

فدلالة الألفاظ الدالة بالطبع بتوسط أمر آخر وهو كون الطبيعة مقتضية لإحداث الدال عند وجود المعنى بخلاف دلالة الألفاظ الدالة بالعقل فإنها ليست بتوسط أمر آخر، بل هي لعلاقة لازمة لنفس الدال.

فالوضع والطبع لا مدخل لهما في تلك الدلالة، والعلاقة ههنا احتياج اللفظ إلى اللافظ في نفسه اهـ.

والدلالة بالطبع والعقل من قبيل المهملات؛ إذ لم يجعلها الواضع علامة للمعنى، بل اقتضت طبيعة اللافظ التلفظ بها حال حدوث المعنى.

يراجع: العصام على ملا الجامي (ص١١). محمد أمين على العصام(ص)٢١. حاشية حسن أفندي على العصام (ص١٦).

(٢) حاشية الشهاب (٢٤٧/١).

(٣) الحال هو الداعي للمتكلم إلى إيراد الكلام على وجه مخصوص، أي: إلى أن يعتبر مع الكلام الذي يؤدي به أصل المعنى خصوصية ما، وهي مقتضى الحال. مثلًا إنكار=

دلالة الكلام على معنى كنائي أن يكون له معنى صريح، بل تعتبر دلالة المطابقة في هذه الحروف تقديرية[١] إن قلنا باشتراط ملازمة دلالة المطابقة لدلالة الالتزام.[٢]

لكن رد: الثابت أنها ليست بآية عند الكوفيين، ومثل هذا لا يؤخذ بالرأي. قال الشاطبي:

وما بدؤه حرفُ التهجّي فآيةٌ لكوفٍ سوى ذي را وطاسين والوتر.[٣]

=المخاطب للحكم حال يقتضي تأكيده، والتأكيد مقتضى الحال. ومعنى مطابقته له أن الحال إن اقتضى التأكيد كأن الكلام مؤكدًا وإن اقتضى الإطلاق كان الكلام عاريًا عن التأكيد.

(١) في شرح الخبيصي على السعد: (وتلزمهما أي: التضمن والالتزام (المطابقة ولو تقديرًا) يعني أنك إذا أطلقت اللفظ وأردت به لازمه أو جزءه دخل المعنى الوضعي ولو تقديرًا أي: ولو في الجملة، كما قرر العلامة ابن سعيد.

قال الملا عبدالله اليزدي : (إذ لا شك أن الدلالة الوضعية على جزء المسمى ولازمه فرع الدلالة على المسمى، سواء كانت الدلالة على المسمى محققة بأن يطلق اللفظ ويراد المسمى ويفهم منه الجزء أو اللازم بالتبع، أو مقدرة كما إذا اشتهر اللفظ في الجزء أو اللازم فالدلالة على الموضوع له وإن لم تتحقق بالفعل إلا أنها واقعة تقديرًا، بمعنى أن لهذا اللفظ معنى لو قصد من اللفظ لكان دلالته عليه مطابقة.)

وبيانه: أن الضرب– مثلا– يدل باللزوم على الضارب والمضروب، فإن قصدت بالضرب معناه الموضوع له تحققت دلالة الالتزام، وإن أردت المعنى اللازم تحقق المعنى المطابقي في الجملة لا تحقيقًا.

وهنا عيّن الواضع هذه الفواتح لمسمايتها مطابقة، وأراد منها إظهار العجز بدلالة الالتزام، إلا أنه مع إرادة المعنى اللازم تدل على المعنى المطابقي بحسب التقدير. راجع: العطار على الخبيصي (ص٥٨)

(٢) التحرير والتنوير (٢١٨/١).

(٣) انظر: بشير اليسر شرح ناظمة الزهر الشيخ عبد الفتاح (ص٢٦).

والحاصل مما سبق أن المراد بهذه الفواتح مسمايتُها، وهي تدل عليه دلالة مطابقية، وتدل على التحدي والإعجاز دلالة عقلية كنائية أطلقت وأريد منها تحدي المشركين به.

*****

(٢) ورجح بعض المفسرين أنها أسماءٌ للسور، نُقلت من هذا المعنى الوضعي إلى كونها أسماء للسور، وعليه كثير من أهل العربية كسيبويه[١] وعليه فهي علم منقول[٢] لا مرتجل.[٣] وعليه توجد مناسبة بين المعنى الوضعي المنقول عنه إلى المنقول إليه وهو أنه لما كانت السور مركبة من حروف مخصوصة لها أسماء في لغة العرب وجُعلت تلك الأسماء أعلامًا للسور وكان تركبها من تلك الحروف، فإذا أطلقت عليها لوحظ هذا المعنى.[٤] وهل هي علم شخص أو جنس؟ خلاف محله كتب علم الوضع.[٥]

وعلى هذا الوجه إشكالات عديدة أجاب العلماء عنها كما في« الشهاب الخفاجي على البيضاوي»، والألوسي في«روح المعاني»، فليطالع من أراد المزيد.[٦]

---

(١) انظر: تفسير ابن كمال باشا (٣٦/١).

(٢) انظر: الشهاب على البيضاوي (٢٦٣/١).

(٣) ينقسم العلم إلى: مرتجل وإلى منقول فالمرتجل هو: ما لم يسبق له استعمال قبل العلمية في غيرها كسعاد وأدد والمنقول ما سبق له استعمال في غير العلمية، والنقل إما من صفة كحارث أو من مصدر كفضل أو من اسم جنس كأسد. انظر: شرح ابن عقيل (١٢٥/١) الصبان على الأشموني (١١٣/١).

(٤) انظر: حاشية المنلا خسرو على البيضاوي ص٦٨.

(٥) راجع: شرح منظومة العطار لرسالة المحقق العضد في فن الوضع للشيخ محمود شكري الآلوسي (ﷺ)، مخطوط.

(٦) انظر: حاشية الشهاب الخفاجي (٢٦١/١).

حكم هذه الفواتح من حيث الإعراب

تعرضتُ من معاني هذه الفواتح لهذين المعنيين اللذين اشتهرا عند كثير من المفسرين، وترتب عليهما الإعراب، وبيانه كالآتي:

(١) من قال: إنها مسرودة على نمط التعديد.

في إعراب الأسماء المسرودة أي: الخالية من العامل لفقد التركيب أقوال للعلماء:

الأول: مذهب الجمهور أنها قابلة للإعراب إذا رُكبت مع العامل، فهي معربة بالقوة، وعليه الزمخشري والبيضاوي.

الثاني: عند ابن الحاجب أنها مبنية؛ لاشتراطه التركيب بالفعل في حد المعرب. وذهب إليه وابن جني وابن مالك. **الثالث:** عند ابن عصفور أنها لا معربة ولا مبنية.[١]

ثم اختلف الشراح في قول العلامة البيضاوي: (والمعنى أن هذا المتحدى به مؤلف من جنس هذه الحروف. أو المؤلف منها) هل يقصد أنها على هذا التقدير معربة وأنه أوّل هذه الأحرف بالمؤلف ليتأتى له الإعراب؟ قرر هذا العلامة العصام. أو هو بيان لحاصل المعنى من غير نظرٍ لإعرابه من عدمه، أو يحتمل الأمران، خلاف بين الشراح، والمتبادر من كلامه هنا أنه أراد بيان المعنى.[٢] لكن قوله بعد: (وإن أبقيتها على معانيها فإن قدرت بالمؤلف من هذه الحروف كان في حيز الرفع بالابتداء أو الخبر على ما مر) يؤكد أنه أراد بكلامه الأول

---

(١) هذا الخلاف مبني على تحديد معنى المعرب والمبني، وهل بينهما واسطة؟ انظر: سر صناعة الإعراب (ص٣٠٦) المفصل للزمخشري (ص٢٧٨) ملا جامي على الكافية (ص١٢) حاشية الخضري على ابن عقيل (٢٦/١) حاشية الشهاب (٢٤٤/١).

(٢) انظر: حاشية الشهاب (٢٦١/١).

الإعراب، وحينئذٍ يفرق بين من يقول بكونها مسرودة على نمط التعديد من غير تأويل الحروف بالمؤلف وبين التأويل.(١)

(٢) من قال: إنها أسماء للسور أعربها(٢)، وفي إعرابها وجوه:

الأول: الرفع على أنها خبر لمبتدأ محذوف أو العكس، ورجح صاحبُ الإرشاد الأول؛ لأن الشأن في المبتدأ أن يكون معلومًا وفي الخبر العكس، وهنا المبتدأ وهو كون الر اسما للسورة غير معلوم، فالمناسب الرفع على حذف المبتدأ(٣).

وردّ: بأنه لا يُسلم عدم العلم بالتسمية؛ لاحتمال العلم بذلك عند نزول السورة، فيكون (الر) اسمًا للسورة ويعرب بأنه مبتدأ والخبر محذوف، ولا إشكال في هذا؛ لأنه صار معلومًا.(٤)

---

(١) انظر: حاشية الشهاب (٢٧٩/١).

(٢) أعربت؛ لكونها منقولة من المعنى الوضعي وهو الأحرف إلى العلمية.

(٣) قال: (لأن ما يُجعلُ عنوانَ الموضوع حقُه أنْ يكونَ قبلَ ذلكَ معلومَ الانتسابِ إليه عند المخاطَب، وإذْ لا عِلْمَ بالتَّسميةِ قبلُ فحقُها الإخبارُ بها، وادعاءُ شهرتها يأباه التردُدُ في أن المسمَّى هي السورةُ أو كلُّ القرآن) انظر: تفسير أبي السعود (١١٥/٣).

(٤) قال العلامة الرضي: فيه بحث؛ قالوا: لأنّا لا نسلم عدم العلم بالتسمية؛ لاحتمال العلم بها عند نزولها إما بوحيٍ أو بإخبار النبي (ﷺ) أنها اسمًا للسورة، ويكون الخطاب بها لمن علم التسمية وجهل المسمى، فيكون مبتدأ وما بعدها هو الخبر؛ لأنه محط الفائدة حينئذٍ، والتردد لا يأبى ذلك.

انظر: حاشية شيخ الإسلام الرضي (رضي الدين، محمد بن يوسف بن أبي اللطف الحنفي) على أبي السعود والبيضاوي والكشاف (ص٣) مخطوط (٢٧٩).

الثاني: النصبُ بفعل مضمر كاذكر، أو بتقديرِ فعلِ القَسَم على طريقــة: أللهَ لأفعلن.[١]

الثالث: الجرُ بتقدير حرفِه حسبما يقتضيه المقام ويستدعيه النظام.[٢]

والحاصل أن من العلماء من يرى أنها من المتشابه لا يعرف المراد منها، وعليه لا إعراب لها؛ لأن الإعراب تابع للمعاني[٣] ومن قال بأن لها معنى أعربها، وهي محتملة لمعاني عديدة، ولكل دليل ومرجح.

وفي هذه الفواتح من أساليب اللغة من أنواع الايجاز: الاتساع وهو أن يؤتى بكلامٍ يتسع فيه التأويل بحسب ما يحتمله ألفاظه من المعاني[٤] فلا مانع أن يكون لها بحسب كل سورة معنى بحسب مقصدها ومحورها التي تدور عليه، والسياق هنا يقتضي ترجيح أنها مسرودة على طريق التحدي كما قرر الزمخشري؛ لكون التحدي فيه أظهر، والله أعلم.

*****

(١) فالنصب بفعل القسم المقدر بعد حذف حرفه وإيصاله للمقسم به. انظر: حاشية الخضري على ابن عقيل (٢٣٥/١)

(٢) انظر: تفسير أبي السعود (٢٢/١)

(٣) فقد يسقط الإعراب ويبقى المعنى، فهو عرض داخل في الكلام لمعنى يوجده ويدل عليه، فالكلام سابق في الرتبة والإعراب تابع من توابعه.

وفي الباب الخامس في مغني اللبيب أن المعرب لا بد أن يفهم أولًا معنى ما يعربــه، وســاق شواهد على توقف الإعراب على تحليل معنى الكلام إفرادا وتركيبًا.

انظر: الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي (٨٧/١) الدسوقي على مغني اللبيب (١٠٩١/٢)

(٤) انظر: إتحاف السادة المتقين للزبيدي (٥٤٣/٤)

المسألة الثانية: في المراد بالكتاب

(أ) **إطلاقات الكتاب:** يطلق القرآن والكتاب على المجموع الشخصي (الكل)، وعلى القدر المشترك بينه وبين أبعاضه (مطلق المكتوب والمقروء)، والتحديد بالقرائن، وهل الإطلاق الأخير مجازي؟

قال العلامة الشهاب: (الكتاب كالقرآن يطلق على المجموع، وعلى القدر الشائع بين الكل والجزء، وهو معنى حقيقيّ لغويّ؛ إذ الكتاب بمعنى مطلق المكتوب فيصح إطلاقه على السورة بلا تكلف)[1].

ب) المراد بالكتاب في الآية الكريمة

يحتمل عدة احتمالات: الأول: أن المراد به جميع القرآن. كيف والقرآن الكريم لم ينزل كله عند نزول السورة؟ والإشارة إلى المجموع الشخصي لا تتحقق إلا بالكل؟

أجيب: بأنه صح باعتبار أن القرآن كله متعين ومتحقق في اللوح، أو باعتبار نزوله جملة في السماء الدنيا الثابت بخبر الحبر سيدنا عبدالله بن عباس.

الثاني: المراد بالكتاب هنا القدر النازل وقتئذٍ، وصح باعتبار أن القرآن يطلق على المجموع وعلى القدر المشترك، والدليل على صحة هذا ما رُوي عنْ جابر (رضي الله عنه) أنه قال: كان النبيِّ (ﷺ) يجمع بين الرجلين من قتلى أحُدٍ في ثوب واحد ثم يقول: أيُّهم أكثرُ أخذاً للقرآن؟ فإذا أشير له إلى أحدهما قدمه في اللحد[2] فإن ما يفهمه الناسُ من القرآن في ذلك الوقت ويحافظون على التفاوت في أخذه إنما هو المجموعُ النازلُ حينئذٍ[3].

---

(١) انظر: حاشية الشهاب (٢٨٣/١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب الصلاة على الشهيد.

(٣) يراجع: تفسير أبي السعود (١١٥/٤).

وأما حمل الكتاب على الكتب التي خلت قبل القرآن من التوراة والإنجيل وغيرهما كما أخرجه ابن أبي حاتم عن قتادة فهو في غاية البعد فتأمل[1].

المسألة الثالثة: نوع حمل الكتاب على الآيات

الموصوف وصفته، والكلي وأفراده إما أن يحملا حمل مواطأة إذا صح حمل الكلي على أفراده، فإذا قلت: «زيد إنسان» صح؛ لعموم الخبر للمبتدأ. أو يحملا حمل اشتقاق إذا لم يصح حمل الكلي على أفراده، فنشتق من الخبر أو الصفة اسم فاعل فيحمل عليه، إذا قلت:« زيد ضحِكٌ»، أي: ضاحك أو ذو ضحك[2] ولم يصح حمله حمل مواطأة؛ لأن الخبر والحال والصفة لا يقعون مصدرًا؛ لأن الخبر هو نفس المخبر عنه، والوصف نفس الموصوف، والحال نفس صاحبها في المعنى، فلا بد أن تكون مشتقة حتى تنطوي على ضمير يعود على صاحبها. وفي الحمل لا بد من الاتحاد من وجهٍ، فلا يصح الحمل على المتباينين. والمغايرة من وجهٍ آخر فلا يحمل الشيء على نفسه. إذا تمهد هذا أقول: يحتمل أن يراد بالكتاب القرآن أو السورة، وكذلك الآيات، فحِينَئِذٍ صارت صورًا **أربعًا: <u>إحداها:</u>** أن الإشَارَة إلَى آيات السُّورَة والْكتَاب بمعنى السُّورَة ولا فَائدَة في الحمل[3].

---

(١) روح المعاني (٥٨/٦).

(٢) انظر: حاشية التوضيح على شرح تنقيح الفصول للشيخ محمد الطاهر بن عاشور (٢٥/١) حاشية العطار على ايساغوجي (ص٥٠) والعطار على الخبيصي (ص٩٢)، الجوهر النضيد في شرح منطق التجريد (١٣وما بعدها).

(٣) لاتحاد المضاف والمضاف إليه، وفي الحمل لا بد من الاتحاد من وجهٍ، فلا يصح الحمل على المتباينين. والمغايرة من وجهٍ آخر فلا يحمل الشيء على نفسه، فالخبر يجب مغايرته للمبتدأ مفهوما واتحاده معه ماصدقا.

والثانية: أن الإشَارَة إلَى آيات السُّورَة و الْكتَاب بمعنى الْقُرْآن[١]، يصح الحمل؛ لأن الكتاب صار كليًّا أعم من الآيات.

والصورة الثالثة: كون الإشَارَة إلَى آيات الْقُرْآن والْكتَاب بمعنى السُّورَة فلا يصح الحمل إلا أن يخصص الْقُرْآن، فحِينَئِذٍ يؤول إلَى الاحتمال الأول[٢]، وقد عرفت حاله.

أو الْكتَاب بمعنى الْقُرْآن، فالْمَعْنَى حِينَئِذٍ تلك آيّ آيات الْقُرْآن آيات الْقُرْآن، فمحط الفَائدَة الوصف أي: كونه حكيمًا. وأحسن الْوُجُوه كون الإشَارَة في الآيات إلَى ما تضمنته السُّورَة وجعل الْكتَاب بمعنى جميع الْقُرْآن أو جميع النازل حِينَئِذٍ.[٣]

المسألة الرابعة: في معنى إحكام آيات الكتاب

وفي معنى هذا الإحكام احتمالات يتعدد مأخذ الاشتقاق بحسب المعنى، ذكر العلامة البيضاوي أربعة احتمالات:

(أ) المعنى أنها نظمت نظماً محكماً لا يعتريه إخلال من جهة اللفظ والمعنى

قرر الشهاب الخفاجي أن هذا المعنى مستعار من إحكام البناء وإتقانه، فلا يكون فيه تناقض أو تخالف للواقع والحكمة.[٤] ولعل سبب القول بالمجاز أنه في اللغة للمحس وهنا لأمر معنوي، شبه الكتاب العزيز بالبناء بجامع التناسق والترابط، والتحقيق أنه معنى حقيقي، قال صاحب القاموس: (وأحكمه أتقنه فاستحكم) وعده الزمخشري في «أساس البلاغة » من المعاني الحقيقية.[٥]

---

(١) لأن كل كلي أعم مفهوما يحمل على الأخص كذلك.

(٢) لا يصح الحمل لأن الموضوع أعم، فإذا خصصت الآيات رجعنا إلى الصورة الأولى.

(٣) انظر: حاشية القونوي (٣٨١/٩) وحاشية الشهاب الخفاجي (٣/٥).

(٤) انظر: حاشية الشهاب (٦٧/٥).

(٥) راجع: مادة حكم في الكتابين.

(ب) أو منعت من الفساد والنسخ؛ فإن المراد آيات السورة وليس فيها منسوخ، فهو مأخوذ من الإحكام بمعنى المنع من الفساد، فالفساد هنا النسخ، فالواو عطف للتفسير كما قال الشهاب. والكلام على الحقيقة كما قرر القونوي أو على الاستعارة التمثيلية أو المكنية كما قال الشهاب، والتحقيق الأول.(١)

واعترض عليه من وجهين:

الأول: أن مأخذ الاشتقاق من حَكَمة الدابة، وتشبيه الآيات بها مستهجن. ذكره الشهاب الخفاجي وغيره.

والثاني: أن مأخذ الاشتقاق من أحكمه بمعنى منعه من الفساد، ففيه إيهام أن الآيات الكريمات تتداعي إلى الفساد لولا المانع. قاله العلامة أبو السعود(٢).

ويمكن أن يجاب: بأن المشتق لا يلزم أن يكون في حكم المشتق منه من كل وجهٍ حتى يلزم منه التداعي إلى الفساد، أو الا ستهجان(٣).

(ج) أو أحكمت بالحجج والدلائل. فهو من المنع أيضًا؛ لمنعه من الشُّبه بالأدلة الظاهرة كما قال الشهاب أو من إحكام البناء كما قال القونوي. وهذا الوجه تفسيرٌ لكيفية الإحكام، ولا ينبغي أن يكون تفسيرًا له.(٤)

(د) أو جعلت حكيمة منقول من حكُم بالضم إذا صار حكيماً؛ لأنها مشتملة على أمهات الحكم النظرية والعملية.(٥)

---

(١) راجع: حاشية الشهاب (٦٧/٥) حاشية القونوي (٥/١٠) المحكم والمتشابه لفضيلة الأستاذ الدكتور/ إبراهيم خليفة (رحمه الله) (ص١٦).

(٢) تفسير أبي السعود (١٨٢/٣).

(٣) راجع: تعليقات سلامة زادة على تفسير أبي السعود (ص٩٨) مخطوط مكتبة شهيد على باشا رقم (١٨١).

(٤) راجع: المحكم والمتشابه لفضيلة الأستاذ الدكتور/ إبراهيم خليفة (ص٢٦).

(٥) انظر: تفسير البيضاوي بحاشية الكازروني (١٠٢/٣) حاشية الشهاب (٦٧/٥) حاشية القونوي (٥/١٠).

مفاده أن فِعْل (أحكم) المتعدي بالهمزة منقول من لازم مجرد منها، وهو حكُم إذا صار حكيما. فالإسناد هنا لصاحبها.

والوجه الأخير بأن فعل (أحكمت) بمعنى جعلت حكيمة هو الأنسب الأبلغ، حيث يشمل الأوجه السابقة كلها، ويجعل النفس تذهب في بيان وجه الإحكام كل مذهب، والله أعلم.

الفصل الثاني

إنكار تعجب المشركين من الوحي إلى رسول الله (ﷺ)

قال تعالى: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ ﴾ يونس: ٢.

المعنى العام للآية الكريمة

في الآية الكريمة إنكار على مشركي مكة على تعجبهم من اختصاص الرسول (ﷺ) بالرسالة، وقررت الآية الكريمة بطلان هذا التعجب بأسلوبٍ عجيبٍ مشتملٍ على المفردات اللغوية الدقيقة، والأساليب البيانية والنكات البلاغية التي تحمل في طياتها الرد البليغ المفحم على كفار قريش، وحددتْ مهمةَ الوحي في الإنذار والتبشير، وختمتْ برفض المشركين للرسالة والقرآن مُدّعِين أنه سحرٌ مبين.

وموقع الآية مما قبلها

* يحتمل أنها مستأنفةٌ استئنافاً بيانيا[1] فكأن الآية السابقة بما فيها من إبهام تثير سؤالًا يقتضيه المقام وهو لماذا توقف المشركون عند آيات الكتاب الحكيم ولم

(١) الجملة المستأنفة هي المنقطعة عما قبلها إعرابا، فإن كانت في جواب سؤال مقدر فهي المستأنفة استئنافا بيانيا وإلا فهو الاستئناف الابتدائي، ومع كون الجملة المستأنفة بنوعيها منقطعة إعرابا إلا أنها لا تنقطع معنى عما قبلها، فقد تكون تعليلية أو بيانية، بل إن المفسرين كثيرا ما يحملون المعنى على الاستئناف البياني؛ لكثرة الفائدة، وقوة المحرك للسؤال. =

يؤمنوا؟ فجاءت هذه الجملة تُبين أن وَجه ذلك هو استبعاد الناس الوحي إلى رجل من الناس استبعاد إحالة، وجاءت على هذا النظم الجامع بين بيان الداعي وبين إنكار السبب الذي دعا إليه وتجهيل المتسببين فيه.

* ولك أن تجعله استئنافا ابتدائيا؛ لأنه مبدأ الغرض الذي جاءت له السورة، وهو الاستدلال على صدق الرسول وإثبات البعث.[1]

=انظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري بحاشية الدسوقي عليه (٨١٤/٢ وما بعدها).

(١) انظر: التحرير والتنوير (٨٣/١١)

﴿ المبحث الأول ﴾

المعاني اللغوية والبلاغية في الآية الكريمة

قوله تعالى: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ ﴾ يونس: ٢، وفي هذه الجملة مسائل:

المسألة الأولى: في الاستفهام الإنكاري[١] الوارد في الآية

قال الزمخشري: (الهمزة لإنكار التعجب والتعجيب منه)[٢].

أي: الهمزة لإنكار تعجبهم، وللتعجيب من تعجبهم؛ فإن الكفار تعجبوا من تخصيص الله تعالى محمدا بالرسالة والوحي، فأنكر الله تعجبهم وعجّب الناس منه، والتعجيب من توابع ولوازم الإنكار.

والاستفهام هنا إنكاري توبيخي، وهو بمنزلة النفي، والمعنى ليس وحينا إلى رجل منكم عجبًا.

---

(١) الاستفهام له دلالة حقيقية وهو طلب الفهم، ودلالة مجازية وهي أن يكون المستفهم ليس في حاجة إلى فهم شيء من المخاطب بالاستفهام، بل هو ينشئ معاني يقتضيها المقام قاصدًا إعلام المخاطب بها، وهو بهذا الاعتبار له قسمان كبيران، الأول: الاستفهام التقريري، والثاني: الاستفهام الإنكاري، والثاني له صورتان:

الأولى: الإنكار الإبطالي وهو أن يكون ما بعد أداة الاستفهام منفيا لا وجود له في الواقع، نحو قوله تعالى: ﴿أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ الزخرف: ٤٥، أي: لم نجعل ذلك. **والثاني:** الاستفهام التوبيخي وهو أن يكون ما بعد أداة الاستفهام مثبتا له وجود في الواقع لكنه كان ينبغي أن لا يكون أصلا، ومن أمثلته الآية التي معنا.

راجع: مغني اللبيب بحاشية الدسوقي (٢٩/١) شروح التلخيص (٢٩٦/٢) التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم د/ عبدالعظيم المطعني (٥/١) بتصرف.

(٢) انظر: فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (٤١١/٧).

المسألة الثانية: في دلالة كان

(أ) ما معنى الجملة التي تحتوي على هذا الفعل؟

التحقيق أن "كان" قيد للخبر، وليست هي المسندة والخبر تبيين للاتصاف بمضمونها.[١]

(ب) والنكتة البلاغية من تقييد الإسناد بكان هي تقرير اسم كان على صفة، فهي لإعطاء الخبر معنى كان[٢] والمعنى إنكار حدوث التعجب من الوحي إلى رجل منهم في الزمان الماضي.

المسألة الثالثة: في الناس: وأبحث هذه الكلمة من حيث أصلُها التصريفي والاشتقاقي، والمراد بها في الآية الكريمة، والنكتة البلاغية من التعبير بها دون الكفار.

---

(١) اختلف في دلالة كان على قولين:

الأول: أنها قيد للخبر، ورجحه العلامة السعد التفتازاني والعصام وغيرهما، وعليه أهل التحقيق. فالإسناد دائر بين اسمها وخبرها، وكان قَيدتِ المسند بالزمان الماضي.

قال العلامة السعد في المطول: (وضع الباب لتقرير الفاعل على صفةٍ، أي: جعله وتثبيته على صفة غير مصدر ذلك الفعل، وهو مفهوم الخبر، على أنها –أعني– تلك الصفة متصفة بمعاني تلك الأفعال، فمعنى"كان زيد قائمًا" أنه متصف بالقيام المتصف بالكون، أي: الحصول والوجود في الماضي.

الثاني: أنها المسندة والخبر تقييد وتبيين للاتصاف بمضمونها، وذهب إليه العلامة الرضي. راجع: المطول للسعد التفتازاني (ص١٥١ وما بعدها)، ط/ المكتبة الأزهرية، العطار على الخبيصي (١٤٦) حاشية على تحرير القواعد المنطقية (ص٨٧) شروح التلخيص (٣٣/٢).

(٢) ومعنى التقرير هو من قر يقر إذا ثبت، وليس بمعنى التأكيد، ومعنى التثبيت إدراك ثبوت الشيء إيجابا أو سلبا؛ ليشمل ليس. انظر: السيالكوتي على المطول (ص ٢٦٠).

(أ) أصل الكلمة الإعلاليّ والاشتقاقيّ.

اختلف النحاة في ناس؛ فذهب سيبويه والجمهور إلى أنّ أصله أُناس، وهو جمع أو اسم جمع[١] لإنسان حذفت فاؤه، فوزنه عال، ونقصه وإتمامه جائزان إذا نُكر، فإذا عُرف بأل فالأكثر نقصه ويجوز على قلة إتمامه . وذهب الكسائي إلى أنه اسم تامّ، وعينه واو، من نوس إذا تحرّك بدليل تصغيره على نويس، وقال سلمة بن عاصم: كل من ناس وأناس مادّة مستقلة.[٢]

واختلف في مأخذ اشتقاقه هل هو من الأُنس أو من النسيان؟ والتحقيق الأول، فهو الأوفق لقواعد الاشتقاق، وجانب المعنى يزكي ذلك، فالله تعالى خلق الناس ليتعارفوا ويعمروا الأرض لا لينسوا.[٣]

(ب) المراد بالناس كفار مكة، فهو عام أريد به الخصوص[٤]، عبر عنهم بالناس؛ لبيان أنه من جنسهم، فتكون الآية نعيًا عليهم، كيف يكذبونه وهو من جنسهم يعرفون صدقه وأمانته؟!.

قال العلامة أبو السعود: (وإنما عبِّر عنهم باسم الجِنسِ من غير تعرُّضٍ لكفرهم مع أنه المدارُ لتعجبهم كما تُعُرِّض له في قولِه (ﷻ): **(قَالَ الكافرون**

---

(١) قال العلامة الصبان: (واعلم أن الجمع ما دل على آحاده دلالة تكرار الواحد بالعطف. واسم الجمع ما دل على آحاده دلالة الكل على أجزائه والغالب أنه لا واحد له من لفظه كقوم ورهط وطائفة وجماعة وقد يكون كركب وصحب.) انظر: حاشية الصبان على الأشموني (٦١/١) ملا جامي على الكافية (ص ١٩٤).

(٢) انظر: حاشية الشهاب (٤٦٥/١).

(٣) انظر: علم الاشتقاق نظريا وتطبيقيا أ.د/ محمد حسن جبل (ص٢٧٣ وما بعدها) ط/ مكتبة الآداب.

(٤) العام المراد به الخصوص ليس عمومُه مرادًا لا حكما ولا تناولا ،بل هو كلي من حيث إن له أفرادًا بحسب الأصل استعمل في جزئي منها.

انظر: الإتقان في علوم القرآن (٥٠/٣) حاشية العطار على المحلي (٣٥/٢).

الخ) لتحقيق ما فيه الشركةُ بينهم وبين رسول الله (ﷺ)، وتعيينِ مدارِ التعجبِ في زعمهم، ثم تبيينِ خطئِهم وإظهارِ بطلانِ زعمِهم بإيراد الإنكارِ والتعجيب)[١]

المسألة الرابعة: السر من التعبير القرآني باللام دون غيرها

التعبير القرآني في مفرداته له أسرار ودلالات، وهنا لم عبر باللام في قوله تعالى: **(أكان للناس عجبا)** ولم يقل: عند الناس، وهل في التعبير باللام له من الأسرار ما ليس في غيرها؟

يجيب العلامة الزمخشري فيقول: (فإن قلت: فما معنى اللام في قوله: (أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا)؟ وما هو الفرق بينه وبين قولك: أكان عند الناس عجباً ؟ قلت: معناه أنهم جعلوه لهم أعجوبة يتعجبون منها، ونصبوه علماً لهم يوجهون نحوه استهزائهم وإنكارهم، وليس في عند الناس هذا المعنى)[٢].

قال الشيخ محمد أبو زهرة معقبًا على هذا القول: (ولعل المعنى الذي يريده الزمخشري أن اللام تفيد هنا أن كان للناس عجبًا أن يعجبوا من أنه أوحى إلى رجل منهم، وأن اللام تفيد الملك، أو الاختصاص..)[٣].

وهذا الكلام من العلامة ليس بدقيق، قال العلامة السعد في بيان مراد الزمخشري: (يريد أنه ليس متعلقا بعجبًا على طريق المفعولية، بل على طريق البيان، كما في قوله: هَيْتُ لك، بمعنى هذا الخطاب لك[٤].)[٥]

---

(١) إرشاد العقل السليم (١١٦/٤) روح المعاني (٦٠/١١).

(٢) انظر: تفسير الكشاف (٣٤٦/٢).

(٣) زهرة التفاسير (٣٥١٠/٧).

(٤) فاللامُ بيانٌ للمُهَيَّتِ به على هذه القراءات كما هو مبين في الضبط. قوله: (بمعنى هذا الخطاب لك) معناه أن (لك) لا يتعلق بهيت على أن مسمى هيت اسم فعل أمر بمعنى أقبل، بل بمحذوف هو حاصل معناه، وليس هو العامل. فاللام متعلقة باستقرار محذوف الخبر. أما إذا كانت (هيت) اسم فعل ماض بمعنى تهيأت فاللام متعلقة به. راجع: مغني اللبيب بحاشية الدسوقي (٥٠٤/١) الدر المصون (٤٦٥/٦)

(٥) حاشية السعد على الكشاف (٢٩٥).

وبيان هذا: أن اللام للتبيين[1]، تأتي لتحدد وتميز الفاعل من المفعول إذا كانا مبهمين، وللتأكيد إذا كانا واضحين، وهي هنا لتأكيده؛ لأن فاعل العجب وهو الناس، ومفعوله هو النبي (ﷺ) معلوم، وإذا كان النبي (ﷺ) مفعول العجب فاللام تدل على أنهم جعلوه لهم أعجوبة يتعجبون منه، فأفادت اللام التي جاءت لتؤكد أن مفعول العجب الوحي إلى رسول الله فتفيد أنهم جعلوه أعجوبة ومحل استهزائهم، بخلاف ما لو عبر بعند فإنها لا تفيد هذه الفائدة، فكأن تحديد اللام للمفعول أشار إلى هذه الفائدة.

المسألة الخامسة: في معنى عجبًا

* **الدلالة الصرفية:** عجِب من باب فعِل، عجبت من الشيء عجبًا من باب تعِب، وهو باب يكثر في معاني العلل والأحزان وأضدادها، ويجئ في الألوان والعيوب والحِلى كلها عليه.[2]

* **أصل الكلمة:** العجب يدور حول الخفاء بسبب كون الشيء مغمورًا أو أنه لا يعهد مثله، قال ابن دُريد: (وأعجب: أفعَلُ غمًّا من قولهم: رجلٌ أعجبُ: عظيم العَجْب، وهو العُصعُص، وإمَّا من الشِيء المعْجب.)[3]

* **مأخذ الاشتقاق:**

قال الفيومي: (العجْب: وزان فَلْس من كل دابة ما ضُمّت عليه الورِك من أصل الذنب، وهو العصعص...).

---

(١) من معاني اللام التبيين، وهي على ثلاثة أقسام، منها: ما يبين فاعلية غير ملتبسة بمفعولية وما يبين مفعولية غير ملتبسة بفاعلية، ومصحوب كل منهما إما غير معلوم مما قبلها أو معلوم لكن استؤنف بيانه تقوية للبيان وتوكيدا له، واللام متعلقة بمحذوف. راجع: مغني اللبيب بحاشية الدسوقي (٥٠٤/١).

(٢) انظر: شرح الشافية للعلامة العصام مع شرح نقره كار (ص٢٢).

(٣) انظر: الاشتقاق لابن دريد (ص٥٤٣).

*** الظواهر اللغوية الواردة على الكلمة:**

قال الفيومي: (ويستعمل التعجب على **وجهين: أحدهما:** ما يحمده الفاعل، ومعناه الاستحسان والإخبار عن رضاه به. **والثاني:** ما يكرهه ومعناه الإنكار والذم له، ففي الاستحسان يقال: أعجبني بالألف، وفي الذم والإنكار عجبت وزان تعبت)[١].

وهل الأصل في الكلمة المعنى الأول أو الثاني؟ قال الزجاج: (وأصل العجب في اللغة أن الإنسان إذا رأى ما ينكره ويقل مثله قال: عجبت من كذا وكذا)[٢].

قال العلامة أحمد فارس الشدياق: (قلت: الأَولى أن يكون العجب مصدر عجِب، وأن الأصل فيه أن يكون للمستحسن، والدليل على ذلك قولهم:" أعجبني هذا الشيء" إذ حقيقة معناه حملني على العجب وهو الاستعظام، وفي تاج العروس عن ابن الأعرابي: العجب النظر إلى الشيء غير مألوف ولا معتاد)[٣] وأيّا ما كان ففي هذه المفردة ظاهرتي الحقيقة والمجاز، إذا اعتبرت أن أصلها لما ينكره الإنسان فهو مجاز في الشيء المستحسن وبالعكس.

*** <u>السر من التعبير بهذه المفردة.</u>**

وهنا يأتي السؤال، لماذا عبر القرآن الكريم عن إحالة الكفار الوحي إلى رسول الله (ﷺ) بالعجب؟ قالوا: هناك فرق بين العجب والعجيب، فالأول يقال لما لا يعرف سببه، والثاني يقال لما لا يعهد مثله[٤]، وإذا كان العجب كذلك دل

---

(١) انظر: المصباح المنير مادة عجب.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/٣٠٠).

(٣) انظر: الجاسوس على القاموس (ص٢٥٢).

(٤) في المفردات للراغب: أن العَجَب ما لا يُعْرَفُ سببه، وأن العجيب يقال لما لم يُعْهَد مثلهُ. قال تعالى: {**أكان للناس عجبا أن أوحينا**} [يونس/٢]، تنبيهًا أنهم قد عهدوا مثل ذلك قبله) انظر: المفردات مادة عجب.

على أنهم عهدوا الوحي إلى البشر لكنهم يتعجبون من سبب التخصيص، يعني السبب في تخصيص نبينا (ﷺ) بالاصطفاء بخلاف ما لو عبر بالعجيب كما في سورة قاف في سياق الحديث عن البعث.

المسألة السادسة: هل (عجبًا) المراد منه المعنى المصدري أو الحاصل بالمصدر؟

تثير المفردة القرآنية في قوله تعالى: **(عجبا)** بعد أن بينتُ سر التعبير بها سؤالا آخر، وهو أن عجبا مصدر، والمصدر قد يطلق ويراد به المعنى المصدري الحدثي القائم بالنفس، وقد يطلق ويراد به الفعل والتأثير، فهل المراد هنا أن المشركين تعجبوا وكان العجب حدثا قلبيًا أو صدر منهم فعل التعجب؟ هذا يجعلنا في المقام الأول نبحث في الفرق بين المعنيين أولا حتى يتبين الأمر.

(أ) تأصيل المقصود بالمعنى المصدري والحاصل بالمصدر.

من الأمور المهمة في التفسير التفريق بين المعنى المصدري والمعنى الحاصل بالمصدر؛ لأنه يترتب عليه اختلافٌ في الأحكام، وألف فيه أمير بادشاه البخاري[1] "رسالة في بيان الحاصل بالمصدر مخطوط"[2].

وحاصل الكلام أن الفعل والمصدر قد يطلق ويراد به المعنى المصدري وهو تعلق قدرة الفاعل بالمفعول، وهو أمر اعتباري يُعقل من إضافة المؤثر إلى الأثر، فالتأثير والإيجاد بهذا معنى يعقله الذهن حين يعقل المؤثر متوجهًا إلى مقدوره. وقد يطلق ويراد به الحاصل بالمصدر وهو أثر التأثير، وهو الفعل

(١) محمد أمين بن محمود البخاري المعروف بأمير بادشاه، فقيه حنفي محقق، من أهل بخارى. توفي ٩٧٢ هـ.
انظر: الأعلام للزركلي (٤١/٦)

(٢) في مكتبة محمد عاصم. رقم (٥٥١) وضمن مجموع رسائل (رقم ٧٠٥) رسالة رقم (١٢): راجع فهرس المكتبة ص٣٢٧.

الذي تقارنه القدرة كالحركات والسكنات، ويقال له بهذا المعنى حدث؛ لحدوثه عن فاعلٍ، ومفعول مطلق؛ لأنه مفعول الفاعل[١] فنفس إيجاد الضرب معنى مصدري، وهو لا وجود له في الخارج؛ لأنه أمر اعتباري، وهيئة اليد (حركتها وسكونها) عند الضرب حاصل بالمصدر، أما الألم الناتج عن الضرب فليس هو الحاصل بالمصدر، بل هو مولد عنه كما قال العطار.[٢]

وحقق العلامة الأمير الكبير أن المصدر حقيقة في الحاصل بالمصدر، مجاز في المعنى المصدري، مجاز مرسل علاقته اللزوم بين الأثر والتأثير، وذلك أن العرب كانت تستعمل المصادر مزيدة بها الحركات والسكنات التي يعقلها الفاعل، وأما تعلق القدرة فلا يعرف أنه معنى المصدر إلا من دقق النظر في العلوم، وما كان متبادرًا في استعمال العرب بدون قرينة يحكم عليه بالحقيقة.[٣] فالمعنى المصدري من مقولة الفعل أو الانفعال فهو أمر غير قار الذات، والحاصل بالمصدر الهيئة القارة المترتبة عليه.[٤]

---

(١) انظر: رسالة على تحقيق البسملة للشيخ محمد الأمير الكبير(ص ٣٢) هوامش على العقيدة النظامية أ.د/ محمد عبدالفضيل القوصي (ص٢١٠).

(٢) حقق العلامة العطار في حاشيته على مقولات البُليدي (ص٢٢٥)، وفي الحاشية الكبرى على السجاعي (ص٢٨٣) أن مقولة الفعل تأثير الشيء في غيره على اتصال غير قار، بل يقع على التدريج، والانفعال هو التأثر، فإيجاد التسخين في الماء الموضوع على الماء شيئا فشيئا ما دام التأثير موجودا هو الفعل، وتسخن الماء ما زالت الحرارة فيه هو الانفعال،، فالسخونة غير الانفعال، بل هو متولد عنها، وقال في مقدمته على البُليدي ص٦: فقد اعتبر في أن يفعل دوام التأثير.

(٣) انظر: رسالة على تحقيق البسملة للشيخ محمد الأمير الكبير(ص ٣٣) حواشي التلويح (١١٥/٢).

(٤) انظر: حاشية السيالكوتي على عبدالغفور على الجامي (ص٣ وما بعدها بتصرف) العطار على نتائج الأفكار (ص٤٣).

(ب) المراد بالعجب:

العجب والتعجب: حالةٌ تعرض للإنسان عند الجهل بسبب الشيء، فإن كانت هذه الحالة هي القائمة بالنفس المتعقلة في الذهن فهو بالمعنى المصدري، وإن كان المقصود الكلام المعبر عن عجبهم فهو الحاصل بالمصدر، والظاهر الثاني؛ لأنه صدر منهم كلام في اختصاص الله تعالى رسوله بالرسالة، كما سيأتي بيانه.

المسألة السابعة: في المصدر المنسبك من أن والفعل في قوله تعالى: {أَنْ أَوْحَيْنَا} [يونس: ٢].

وهنا بحث مهم في الفرق بين التعبير بالمصدر والتعبير بالمصدر المنسبك[1]، وهل عدول القرآن الكريم عن التعبير بالمصدر الصريح له دلالة ونكتة بلاغية؟

أولا: في الفرق بين دلالة المصدر الصريح والمصدر المنسبك.

من الأمور المهمة في اللغة، والتي يترتب عليها اختلاف المعاني والأحكام معرفة الفرق بين دلالة المصدر الصريح والمصدر المنسبك، وعند قراءتي للآية الكريمة أثارت سؤالًا هل التعبير القرآني بالمصدر الصريح له دلالة تخالف التعبير بالمصدر المنسبك، وبالرجوع إلى كتب النحو وقفت على نقل للعلامة الصبان ورسالة كتبت في هذا الشأن، وبيانه:

قال العلامة الصبان: (فائدة: في حاشية السيوطي على المغني عن ابن القيم أن فائدة العدول عن المصدر الصريح إلى (أن والفعل) ثلاثة أمور:

(١) ألف في هذا سري الدين أفندي رسالة في الفرق بينهما ضمن رسائله المخطوطة (ص٢٣٦) رقم المخطوط (١٤٥٢) مكتبة راغب أفندي.

١. **دلالتهما على زمان الحدث:** من مستقبل في نحو: يعجبني أن تقوم، وماض في نحو: أعجبني أن قمت.

٢. **والدلالة على إمكان الفعل دون وجوبه واستحالته.**[١]

٣. **والدلالة على تعلق الحكم بنفس الحدث، تقول:** أعجبني أن قدمت، أي: نفس قدومك. ولو قلت: أعجبني قدومك لاحتمل أن إعجابه لحالة من أحواله كسُرعَته لا لذاته.

ثم نقل عن ابن جني فرقين: أنّ أنْ والفعل لا يؤكد بهما الفعل، فلا يقال: ضربت أن أضرب، ولا يوصفان فلا يقال: يعجبني أن تضرب الشديد بخلاف المصدر الصريح فيهما. ا هـ.

أقول[٢]**: بقي أمران:**

أحدهما: سدّ (أنْ والفعل) مسد الاسم والخبر في نحو: **{وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا}** [البقرة: ٢١٦]بناء على نقصان عسى ومسد المفعولين في نحو: **{أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا}** [العنكبوت: ٢].

ثانيهما: صحة الإخبار به عن الجثة بلا تأويل عند بعضهم في نحو: زيد إما أن يقول كذا وإما أن يسكت لاشتماله على الفعل والفاعل والنسبة بينهما بخلاف المصدر الصريح.[٣]

---

(١) لدلالة الفعل على التجدد والحدوث بخلاف المصدر الصريح فلا يدل على إمكان كما لا يدل على وجب أو استحالة؛ لعدم دلالته على التجدد والحدوث. انظر: تقريرات الإمبابي على الصبان (ص١٨٤).

(٢) الكلام للعلامة الصبان.

(٣) انظر: حاشية الصبان على الأشموني بتقريرات الشيخ أحمد الرفاعي(١/١٤٥) ، الكوكب الدري فيما يتخرج على الأصول النحوية من الفروع الفقهية (ص٢٨٥).

ثانيًا: النكتة البلاغية من التعبير بالمصدر المؤول دون الصريح.

هنا جيء فيه بـــ (أن) والفعل دون المصدر الصريح وهو (وحينا):

(أ) ليتوسل إلى ما يفيده الفعل من التجدد وصيغة المضي من الاستقرار؛ تحقيقا لوقوع الوحي المتعجب منه وتجدده، وذلك ما يزيدهم كمدًا.[١]

(ب) ويفيد أيضًا أن الوحي إلى رسول الله (ﷺ) في دائرة الإمكان لا الاستحالة.

قوله تعالى: ﴿أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ يونس: ٢

المسألة الأولى: في مناسبة هذه الجملة لما قبلها

قال الإمام الرازي: (لما بين تعالى أنه أوحى إلى رسوله، بين بعده تفصيل ما أوحى إليه وهو الإنذار والتبشير.)[٢]

المسألة الثانية: في معنى «أن» الأول: اختار بعض المفسرين ترجيح كونها مفسرة؛ لتحقق شرطها وهو أن يتقدم عليها ما فيه معنى الْقَوْل دون حروفه[٣] وهو الإيحاء هنا.

الثاني: أنها مصدرية مخففة من الثقيلة، ثلاثية الوضع.[٤]

الثالث: ويجوز أن تكون أن المصدرية الثنائية الوضع، لا المخففة من الثقيلة؛ لأنها توصل بالماضي والمضارع والأمر، فوصلت هنا بالأمر، وينسبك منها معه مصدر تقديره: بإنذار الناس.[٥]

---

(١) التحرير والتنوير (٨٣/١١).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب (١٨٦/١٧).

(٣) أنكر الكوفيون كون أنْ تأتي مفسرة، ولها شروط أخرى عند مثبتها ذكرها ابن هشام في مغني اللبيب. راجع مغني اللبيب بحاشية الدسوقي (٦٤/١).

(٤) أما في الاستعمال خففت بحذف أحدى النونين، وتقع بعد فعل اليقين أو ما نزل منزلته.

(٥) راجع: مغني اللبيب بحاشية الدسوقي (٥٦/١).

قال أبو حيان: وهذا الوجه أولى من التفسيرية؛ لأن الكوفيين لا يثبتون لـــ"أن" أن تكون تفسيرية. ومن المصدرية المخففة من الثقيلة لتقدير حذف اسمها وإضمار خبرها، وهو القول فيجتمع فيها حذف الاسم والخبر، ولأن التأصيل خير من دعوى الحذف بالتخفيف.(١)

وعليه إذا جعلتَ أن مصدرية سُبكتْ مع الأمر فات معنى الأمرية في الفعل، وخلص للاستقبال(٢).

المسألة الثالثة: معنى الفعل أنذر

(أ) في اللغة

يأتي في اللغة لعدة معاني منها: الإعلام، والتخويف، والاسم منه النذرى والنذر والنذير والنذارة، والأخيرة (النذارة) منقولة عن إمامنا الشافعي (رضي الله عنه). قال في القاموس: (وأَنْذَرَهُ بالأَمْرِ إنذاراً ونَذْراً، ويُضَمُّ وبضمتينِ ونَذِيراً: أعْلَمَهُ، وحَذَّرَهُ، وخَوَّفَهُ في إبْلاَغِهِ، والاسمُ: النُّذْرَى، بالضم، والنُّذُرُ، بضمتينِ، ومنه: ــ {فكيفَ كانَ عَذابِي ونُذُرِ}، أي: إنْذارِي. والنَّذيرُ: الإنْذارُ، كالنِّذارَةِ، بالكسرِ، وهذه عن الإمامِ الشافعي، (رضي الله عنه)(٣))(٤)

(ب) في عرف الشرع: قال الإمام البيضاوي: (والإنذار: التخويف أريد به التخويف من عذاب الله)(٥).

---

(١) انظر: البحر المحيط (٩/٦).

(٢) راجع مغني اللبيب (٨٥/١ وما بعدها).

(٣) فرحمه الله تعالى ورضي عنه كان إماما في اللغة تؤخذ عنه، كما قال الزمخشري: (وكلام مثله من أعلام العلم وأئمة الشرع ورؤس المجتهدين حقيقي بالحمل على الصحة والسداد) انظر: الكشاف (٤١٠/١).

(٤) القاموس المحيط مادة نذر.

(٥) انظر: تفسير البيضاوي (٦٩/١).

(ج) العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي

حدث نقل وتخصيص، نقل من عرف اللغة من معنى التخويف وخص بالتخويف من عقاب الله تعالى.[١]

المسألة الرابعة: في المراد بالناس

قال العلامة أبو السعود: (والمرادُ به جميعُ الناسِ كافةً لا ما أريد بالأول، وهو النكتةُ في إيثار الإظهارِ على الإضمار، وكونُ الثاني عينَ الأولِ عند إعادة المعرفةِ ليس على الإطلاق[٢])[٣].

والمراد بجميع الناس الجميع العرفي، فأل للاستغرق العرفي[٤]

المسألة الرابعة: السر البلاغي في حذف متعلق الفعل أنذر.[٥]

وحذف المنذر به للتهويل، ولأنه يعلم حاصله من مقابلته بقوله: وبشر الذين آمنوا.[٦]

---

(١) انظر: حاشية الشهاب (٤٢٢/١).

(٢) التحقيق – كما قال ابن هشام– أن القاعدة مستمرة مع عدم القرينة. قال العلامة السعد: (واعلم أن المراد أن هذا هو الأصل عند الإطلاق، وخلو المقام عن القرائن، وإلا فقد تعاد النكرة نكرة مع عدم المغايرة...الخ).

انظر: حاشية الدسوقي على مغني اللبيب (١٣٥٤/٢).

(٣) انظر: تفسير أبي السعود (١١٧/٤).

(٤) إن أشير باللام إلى الحقيقة في ضمن جميع الأفراد التي يتناولها بحسب اللغة فهي للاستغراق الحقيقي، وإن أشير باللام إلى الحقيقة في ضمن جميع الأفراد التي يتناولها بحسب العرف فهي للاستغراق العرفي.

انظر: شروح التلخيص (٣٢١/١).

(٥) فالفعل متعلَّق، وأحواله متعلّق على التحقيق، وإن كان يصح العكس. والمراد بمتعلقات الفعل: المفاعيل الخمسة، والحال، والتمييز، والمستثنى، والظرف، والجار والمجرور وغيرها.

(٦) انظر: التحرير والتنوير (٨٥/١١).

المسألة الخامسة: في معنى الفعل بشر

(أ) المعنى اللغوي

قال أهل اللغة: أصل معنى (البشر): إصابة البشرة يقال: (بشرت الأديم): إذا أخذت بشرته بشفرة، و(بشر الجراد الأرض): إذا أكل ما عليها، فأخذ بشرتها، فاستعمل هذا في إيراد الخبر السار؛ لأنه يصيب البشرة بالهشاشة.(١)

فمأخذ اشتقاقها: من تغير البشرة لما يَرِدُ عليها، وذلك مشترك في خبر الخير والشر غير أن عرف الاستعمال خصصه بالخير. قال الواحدي: و(التبشير) إيراد الخبر السار الذي يظهر السرور في بشرة المخبر، ثم كثر استعماله حتى صار بمنزلة الإخبار، واستعمل في نقيضه كقوله: **{فبشره بعذاب أليم}** إلا أنه فيما يسر أكثر.(٢)

المسألة السادسة: في معنى إضافة الصدق إلى القدم

وأصل القدم ما قدمته قدامك، وتأتي بمعنى السبق في الأمر، يقال: وله في العلم قدم أي: سبق.(٣) وهو معنى مجازي، قال الزمخشري: (ولفلان قدمٌ في هذا الأمر: سابقة وتقدّم)(٤).

وأصل مادة "صدق" يدل أصل يدل على قوة في الشيء قولا وغيره، ويعبر بالصدق عن كل فعل فاضل ظاهرا وباطنا، فيضاف إليه ذلك الفعل الذي يوصف به(٥).

---

(١) انظر: التَّفْسِيرُ البَسِيْط (٥/٢٢٣).

(٢) انظر: التَّفْسِيرُ البَسِيْط (٢/٢٥٩).

(٣) انظر: المصباح المنير، مادة قدم.

(٤) انظر: أساس البلاغة مادة قدم.

(٥) انظر: مقاييس اللغة، مادة صدق، المفردات للراغب مادة صدق.

فوصف القدم بمعنى السابقة والمنزلة بالصدق وهو الفعل الفاضل يدل على عظم البشرى، وفي معنى الجملة الكريمة أقوال:

(١) معنى {قَدَمَ صِدْقٍ} أي: سابقةً ومنزلةً رفيعة.

وإنما عبر عن المنزلة بالقدم؛ إذ بها يحصُل السبْقُ والوصولُ إلى المنازل الرفيعةِ كما يعبر عن النعمة باليد؛ لأنها تعطى بها.[١]

(٢) وقيل: مقامَ صدقٍ، والوجهُ أن الوصولَ إلى المقام إنما يحصُل بالقدم، وإضافتُها إلى الصدق؛ للدلالة على تحققها وثباتِها، وللتنبيه على أن مدارَ نيلِ ما نالوه من المراتب العليةِ هو صدقُهم، فإن التصديقَ لا ينفك عن الصدق[٢].

﴿ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴾ يونس: ٢

(أ) موقع الجملة مما قبلها:

قال الإمام الطبري: (وفي الكلام محذوف، استغني بدلالة ما ذكر عما ترك ذكره، وهو: "فلما بشرهم وأنذرهم وتلا عليهم الوحي قال الكافرون: إن هذا الذي جاءنا به لسحرٌ مبين.)[٣]

قال القفال: وإضمار هذا غير قليل في القرآن.[٤]

وقال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور: ﴿ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴾ يونس: ٢ هذه الجملة بدل اشتمال[٥] من جملة: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا ﴾. ووجه هذا

(١) فذكر السبب وهو القدم وأُريد المسبب.

(٢) انظر: إرشاد العقل السليم (١١٧/٤).

(٣) جامع البيان (١٧/١٥).

(٤) مفاتيح الغيب (١٨٧/١٧).

(٥) بدل الاشتمال يكون بين البدل والمبدل منه ملابسة بغير الكلية والجزئية.
انظر: ملا جامي على الكافية(ص١٤٦).

الإبدال أن قولهم هذا ينبئ عن بلوغ التعجب من دعوى الوحي والرسالة من نفوسهم مزيد الإحالة والتكذيب حتى صاروا إلى القول: إن هذا لسحر مبين [يونس: ٧٦] أو إن هذا لساحر مبين، فاسم الإشارة راجع إلى ما تضمنته جملة ﴿أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾[١].

(ب) بيان المفردات

(١) معنى الكفر: من المهم جدًّا في مرحلة التصور البحث عن اللفظ من حيث إنه حقيقة لغوية أو شرعية أو عرفية، والقصور في هذا يؤدي إلى خلل في معرفة المعاني الأحكام، فقد نقل الشرع ألفاظا وتصرف فيها بالتقييد، وعُرف الشرع في تنزيل الأسامي الشرعية على مقاصده كعرف اللغة كما قال الإمام الغزالي.[٢] ومن مثارات الغلط الخلط بين الحقيقتين، أو عدم استيفاء قيود الحقيقة الشرعية.

أصله ومعناه اللغوي: الكُفر بالضم مقابل الإيمان لغة: ستر النعمة، وأصله المأخوذ منه الكَفر بالفتح مصدر بمعنى الستر، يقال: كفر يكفر من باب قتل، ثم شاع في ستر النعمة خاصة، وفي مقابل الإيمان؛ لأنّ الكفر فيه ستر الحق. ويقال: لليل كافر؛ لستر ظلامه لوجه الأرض[٣].

حقيقته الشرعية: اختلف في حقيقته الشرعية بين الشافعية والأحناف، ومرجع الخلاف هل يشترط في الكفر إنكار القطعي فقط أو أنه لا بد أن يكون مع ذلك معلومًا لدى العوام والخواص؟

---

(١) التحرير والتنوير (٨٦/١١).

(٢) انظر: المستصفى (٣٥٢/١).

(٣) حاشية الشهاب (٢٦٤/١)، المفردات للراغب مادة كفر.

قال الشافعية: الكفر إنكار (أي: جحد) ما علم بالضرورة مجيء الرسول (ﷺ) به.

أي: نقل من الحقيقة اللغوية واستعمل في إنكار المعلوم من الدين بالضرورة الذي يعلمه العوام والخواص، وألحق بالإنكار فعل ما يدل على الإنكار ظاهرًا كالسجود لصنم ونحوه.

وأما الحنفية رضي الله تعالى عنهم فلم يشترطوا في الإكفار سوى القطع بثبوت ذلك الأمر الذي تعلق به الإنكار لا بلوغ العلم به حد الضرورة.

قال ابن الهمام: يجب حمله على ما إذا عَلم المنكر ثبوته قطعًا؛ لأن مناط التكفير التكذيب أو الاستخفاف.(١)

ولا يرد على أخذ الإنكار(٢) في التعريف أن أهل الشرع حكموا على بعض الأفعال والأقوال بأنها كفر وليست إنكارًا من فاعلها ظاهرًا؛ لأنهم صرحوا بأنها ليستْ كفرًا، وإنما هي دالة عليه فأقيم الدال مقام مدلوله حمايةً لحريم الدين وصيانةً لشريعة سيد المرسلين.(٣)

فتحصل أن الكفر هو إنكار المعلوم من الدين القطعي الذي علمه العامي وغيره، أو فعل ما يدل على الكفر ظاهرا من السجود لغير لصنم أو الاستهزاء بالدين، ورأى الأحناف أن الكفر إنكار القطعي مع العلم بكونه قطعيًّا.

(٢) السّحْر

أصل الكلمة وضبطها: السين والحاء والراء **أصولٌ ثلاثة متباينة: أحدها** عضْوٌ من الأعضاء، **والآخر** خَدْعٌ وشِبهُهُ، **والثالث** وقتٌ من الأوقات. فالعُضْو

(١) انظر: المسامرة بشرح المسايرة (ص ٢٨٣) شرح المواقف (٣٣٢/٨).

(٢) حاصل الإيراد أن الإنكار مختص بالقول، والكفر قد يكون بالفعل.

(٣) انظر: روح المعاني (١٢٧/١).

السّحْر بالضم والفتح، وهو ما لَصِقَ بالحُلقوم والمَرِيء من أعلى البطن. وأمّا الثّاني فالسِّحْر، قال قوم: هو إخراج الباطل في صورة الحقِّ، ويقال هو الخديعة. وأمَّا الوقت بفتحتين وبضمتين فالسَّحَر والسُّحْرة، وهو قَبْل الصُّبْح.)[١]

المأخذ الاشتقاقي: قيل: من السُّحَارة: ما ينزع من السحْر عند الذبح فيرمى به، وجعل بناؤه بناء النفاية والسقاطة. ومنه اشتق السحر، وهو: إصابة السحر.[٢]

حقيقته الشرعية: هو إظهار أمر خارق للعادة من نفس شريرة خبيثة بمباشرة أعمال مخصوصة يجري فيها التعلم والتتلمذ.[٣] والمناسب للمعنى الاصطلاحي المعنى الثاني.

المراد في الآية: قد تصور من السحر تارة حسنه، فقيل: (إن من البيان لسحرا)[٤]، وتارة دقة فعله ولطف تأثيره، والمراد هنا في الآية الثاني.[٥]

النكات البلاغية في الجملة القرآنية.

(١) إيرادُهم ههنا بعنوان الكفر؛ للتعليل، فدافعهم إلى هذا التعنت هو الكفر.

(٢) ترك العاطف؛ لجرَيانه مَجرى البيانِ للجملة التي دخلت عليها همزةُ الإنكار[٦]، أو لكونه استئنافاً مبنيًّا على السُّؤالِ[٧] كأنَّه قيلَ: ماذا صنعوا بعد

(١) مقاييس اللغة (١٣٨/٣بتصرف) مختار الصحاح والمصباح المنير.

(٢) مفردات ألفاظ القرآن مادة سحر. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (١٩٧/٣).

(٣) شرح المقاصد للعلامة السعد التفتازاني (٧٩/٥)

(٤) صحيح. أخرجه البخاري حديث رقم (٥٧٦٧) كتاب الطب، باب من البيان سحرا.

(٥) راجع: مفردات ألفاظ القرآن، مادة سحر.

(٦) فبين الجملتين كمال الاتصال.

(٧) عليه بينهما شبه كمال الاتصال.

التعجبِ؟ هل بقُوا على التردد والاستبعادِ أو قطعوا فيه بشيء ؟فقيل: قال الكافرون على طريقة التأكيدِ.[1]

معنى المبين: المبين اسم فاعل إما من بان بمعنى ظهر، أو من أبان بمعنى أظهر، والمراد هنا الأول.

(١) إرشاد العقل السليم (١١٧/٤).

المبحث الثاني
في التفسير

هذه الآية الكريمة بمثابة قانون يقرر أن الرسالة والنبوة مقام كريم وأنها محض فضل من الله، وهي رتبة رُوحانية تستدعي رتبة من جهةِ عظم النفس والتحلي بالفضائل والْكَمَالات القدسية لا التزخرف بالزخارف الدنيوية الدنية.

وفي الآية عدة مسائل تفسيرية:

المسألة الأولى: في القراءات الواردة فيها وتوجيهها

القراءة المتواترة على نصبها على أنها خبر كان، قُدم على اسمها؛ لنكاتٍ بلاغية:

أولها: الاهتمام بشأنه؛ لكونه مدارَ الإنكارِ والتعجيبِ. **وثانيها:** التشويق إلى المؤخَّر. **وثالثها:** في اسم كان ضرب تفصيلٍ، ففي مراعاة الأصل نوع إخلال بتجاوب أطرافِ الكلام.(١)

وقرئ (عجبٌ) بالرفع(٢)، وذكروا فيها توجيهات: الأول: على أنه خبر اسم كان وخبرها قوله تعالى: **(أَنْ أَوْحَيْنَا)**. وأورد عليه: أن المبتدأ يكون نكرة والأصل أن يكون معرفة.

قال في الكشاف: (وقرأ ابن مسعود: "عجب"، فجعله اسما، وهو نكرة، و (أَنْ أَوْحَيْنَا) خبراً، وهو معرفة (٣)، ==

(١) تفسير أبي السعود (١١٦/٤).

(٢) قراءة شاذة. انظر: البحر المحيط (٩/٦).

(٣) لأن أنّ وأنْ المقدرتين بمصدر معرف في حكم الضمير في كونه لا يخبر عنه بما هو دونه على المختار. انظر: حاشية الدسوقي على مغني اللبيب (٩٥١/٢).

==والأجود أن تكون "كان" تامّة[1]، و (أن أوحينا) بدلا من "عجب".)[2]

ولأجل هذا اختار أكثر المفسرين قراءة النصب حتى لا يلزم الإخبار عن النكرة بالمعرفة، ووجهه الزمخشري بما رأيت، والتحقيق أنه لا إشكال على الأول؛ لأن الإخبار عن النكرة بالمعرفة جائز في سياق النفي أو ما في حكمه كالاستفهام الإنكاري كما حققه العلامة السعد. [3]

الثاني: أن "كان" تامّة، و (أن أوحينا) بدلا من "عجب".)

وأورد عليه: أن المبدل منه في نية الطرح وفي حكمه[4] فيتوجه الإنكار إلى حدوثه لا إلى كونه عجبا.

---

(١) قال ابن هشام: (وَمعنى التَّمام أَن يسْتَغْنى بالمرفوع عَن الْمَنْصُوب كَقَوْلِه تَعَالَى: **{وَإِن كَانَ ذُو عسرة}**، وَمَا فسرنا بِهِ التَّمام هُوَ الصَّحِيح وَعَن أَكثر الْبَصرِيين أَن معنى تَمامهَا دلالتها على الْحَدث وَالزَّمَان.

شرح قطر الندى بحاشية الألوسي (ص٢٦٥)، المفصل في صنعة الإعراب للزمخشري (ص٣٥٤) (حاشية الدسوقي على مغني اللبيب (٩١٧/٢).

(٢) الكشاف (٣٤٦/٢).

(٣) حاشية السعد على الكشاف (ص ٢٩٥) ، روح المعاني (٦٠/١١)حاشية القونوي (٣٨٢/٩).

(٤) البدل هو التابع المقصود بالنسبة، أي: الحكم، والمبدل منه وصلة له، وهو في حكم السقوط غالبًا، فالمنظور إليه في الحكم هو البدل، وهذا ليس معناه أن المبدل منه مطروح تماما، بل معنى أنه في نية الطرح أنه في نية الطرح عن القصد الذي يتم به الغرض لا أنه مرفوض بالكلية، والنكتة البلاغية في البدل المطابق زيادة التقرير، وإنما أفاد التقرير؛ لأن مصدوق البدل والمبدل واحد، ولو اختلف مفهومهما. وإن كان بعضا أو اشتمالا فقد ذكر أولا المعنى كلا أو إجمالا ثم ذكر بعضا أو تفصيلا ثانيا.

يراجع شروح التلخيص (٣٧٥/١ وما بعدها).

أجيب: بتوجيه الإنكارِ والتعجيب لا إلى حدوثه، بل إلى كونه عجباً؛ فإن كونَ الإبدالَ في حُكم تنحيةِ المبدَلِ منه ليس معناه إهدارَه بالمرة.(١)

الثالث: أن تجعل كان تامة و (أن أوحينا) متعلق بعجبا على حذف حرف العلة، ورجحه الزمخشري، وأبو السعود، والقونوي، وغيرهم. والمعنى: أحدث للناس عجبٌ لأن أوحينا أو من أن أوحينا. (٢)

المسألة الثانية: ما الذي تعجب منه المشركون؟

واختلف المفسرون في تعجب المشركين من رسالة الرسول (ﷺ) هل لكونه بشراً أو لكونه أقلّهم مالا؟ على أقوال:

(أ) رجح الإمام البيضاوي أن التعجب من تخصيص محمد (ﷺ) بالوحي والنبوة؛ لكونه قليل المال والجاه، فمعنى قوله تعالى: **(إلَى رجل منهم)** إلَى رجل قليل المال والجاه.

قال البيضاوي: ("إِلى رَجُلٍ مِنْهُمْ" من أفناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم.)(٣) واستدل من قال بهذا الرأي بما يلي:

١. قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ الزخرف: ٣١ فإنهم طلبوا نزول القرآن على أحد عظمائهم.

٢. وفي بعض الآثار: أنهم كانوا يقولون: العجب أن الله تعالى لم يجد رسولًا يرسله إلى الناس إلا يتيم أبي طالب.(٤)

---

(١) انظر: تفسير أبي السعود (١١٦/٤).

(٢) السابق.

(٣) انظر: تفسير البيضاوي مع حاشية الكازروني (٨٥/٣).

(٤) في معنى هذا روى الإمام الطبري بسنده عن الضحاك، عن ابن عباس قال: لما بعث الله محمدًا رسولا أنكرت العرب ذلك، أو من أنكر منهم، فقالوا: اللهُ أعظمُ من أن يكون=

(ب) ورجح بعض المفسرين أن المتعجب منه كونه بشرًا.

قال العلامة الألوسي: ({إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ} أي: إلى بشرٍ من جنسهم، كقولهم: أبعث الله بشراً رسولاً)[1].

ويؤيده:

١. أن أكثر ما وقع في مواضع من الْقُرْآن حكاية تعجيبهم من كون الرَّسُول بشرًا.

قال تعالى على لسان نوح (عليه السلام): ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ الأعراف: ٦٣، وقال تعالى على لسان هود (عليه السلام): ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ﴾ الأعراف: ٦٩.

فأنكر تعجبهم من إرسال الرسول رجلا منهم لا ملكًا يصعب التلقي عنه، وكلمة (منهم) في الآية تشعر بهذا المعنى[2].

٢. نهاية السورة قبلها، وهو قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ التوبة: ١٢٨ أي: من جنسكم، فتكون الآية مناسبة لما قبلها.

(ج) قال الزجاج: (وجائزٌ – والله أعلم – أنهم عجبوا من أن النبي (ﷺ) أنذرهم وبَشَّر الذين آمنوا، والإنذار والبِشَارَةُ مُتّصِلَان بالبعث والنشور، فَعجِبوا أن أعلَمَهُمْ أنهم يبعثون ويجازَوْنَ بالحسنة والسيئة)[3].

=رسوله بشرًا مثل محمد! فأنزل الله تعالى: **(أكان للناس عجبًا أن أوحينا إلى رجل منهم)**، وقال: **(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلا رِجَالا)** [سورة يوسف: ١٠٩].

ولا يخفى عليك ضعف الرواية. ففيها بشر بن عمارة ضعيف، والضحاك لم يلق ابن عباس، ففيها انقطاع.

(١) انظر: روح المعاني (٦٠/١١).

(٢) راجع: حاشية القونوي (٣٨٥/٩).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/٣).

وعليه فالزجاج راعى سياق الآيات بعدها التي تقرر البعث والحساب، ويؤيده مطلع سورة ق، قال تعالى: ﴿ بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴾ ق: ٢ – ٣' وقوله تعالى: ﴿ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ الرعد: ٥.

(د) وجوز الزمخشري الثلاثة.

قال الزمخشري: (والذي تعجبوا منه: أن يوحى إلى بشر، وأن يكون رجلا من أفناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم فقد كانوا يقولون: العجب أنّ الله لم يجد رسولاً يرسله إلى الناس إلاّ يتيم أبي طالب، وأن يذكر لهم البعث وينذر بالنار ويبشر بالجنة)[1].

والذي يظهر لي – والله أعلم– أن المراد هنا الأول؛ ويعضده:

(أ) آية الزخرف التي تذكر طلب كفار قريشٍ نزولَ القرآن على عظيم منهم، وخيرُ ما فُسر القرآن بالوارد.

(ب) ختام السورة السابقة في بيان أن رسول الله منهم، يعني من أشرفهم وأفضلهم كما تدل قراءة (من أنفسكم) بفتح السين.[2]

(ج) محور السورة الذي سبق تقريره يؤكد على ترجيح هذا المعنى، فمحور السورة يدور حول الذين انتفعوا بالرسالة الإلهية والذين حجبوا عنها، وكان من

---

(١) انظر: الكشاف (٣٤٧/٢).

(٢) قراءة شاذة، قراءة ابن عباس، وأبي العالية، والضحاك، وابن محيصن، ومحبوب، عن أبي عمرو وعبد الله بن قسيط المكي، ويعقوب من بعض طرقه: من أنفسكم بفتح الفاء. ورويت هذه القراءة عن رسول الله (ﷺ)، وعن فاطمة، وعائشة (رضي الله عنهن)، والمعنى: من أشرفكم وأعزكم، وذلك من النفاسة، وهو راجع لمعنى النفس، فإنها أعز الأشياء. انظر: البحر المحيط لأبي حيان (٥٣٣/٥).

هذه الحجب النظر إلى رسول الله (ﷺ) على أنه أقلُّهم مالًا ومنصبًا، فلم يبصروا المعجزة القرآنية والرحمة المحمدية بخلاف من لمعت أمامه أنوار الهداية القرآنية والأنوار المحمدية فآمن وسلم.

(د) **السياق:** سياق الآية يقتضي بيان كفرهم وتذليلهم وتحقيرهم لمن أعزه الله وعظمه [1]، فيكون أنسب بالمعنى الأول لا الثاني.

(هـ) **المعنى الإشاري في الآية:** الإشارة: تعجبُ الناس من أهل الخصوصية سُنة ماضية، فكما خفي عن أعين الكفار سر النبوة، خفي عن أعين الخفافيش سر الخصوصية، فلا يطلعَ عليها إلاّ مَن سبق له قدم صدق عند ربه، فسبحان مَن ستر سر الخصوصية بظهور وصف البشرية فلم يدل عليها إلا مَن أراد أن يوصله إلى مشاهدة عظمة الربوبية.[2]

فإن قلت: لمَ لمْ تُعمم فيشمل جميع المعاني المحتملة كما ذهب البعض، فيفيد أن ذلك سنة في المكذبين؟

قلت: وإن كان هذا محتملًا لكن السياق وتتبع تاريخ الرسالات حول جزيرة العرب يرجح أنهم شاهدوا حولهم اليهودية والنصرانية وأنها كانت على بشر، وأن سنة الارتقاء الفكري والعقلي تقتضي ان تزول شبهة الاعتراض على البشرية.

فإن قلت: يعكر على هذا قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴾ الأنعام: ٨ فقد طلبوا نزول ملك لا بشر.

قلت: هو طلبُ من أعيته الحيل، وهو محمول على نزول الملك تأييدًا لا استقلالا كما قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ

(١) انظر: حاشية الشهاب (٤/٥).

(٢) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لابن عجيبة (٤٤٨/٢).

﴿أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا﴾ الفرقان: ٧ فأفاد أن الاعتراض ليس على البشرية. والله أعلم.

المسألة الثالثة: القراءات الواردة في قوله تعالى: {إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ} [يونس: ٢] وتوجيهها.

قرأ ابن كثير وعاصم وحمزة والكسائي: إن هذا لساحر، والمراد منه محمد (ﷺ)، والباقون لسحر والمراد به القرآن.(١)

ما تدل عليه القراءة الأولى: قال الزمخشري: (ومن قرأ: (لساحر): فهذا إشارة إلى رسول الله (ﷺ)، وهو دليل عجزهم واعترافهم به وإن كانوا كاذبين في تسميته سحراً)(٢).

وبيانه: أنهم لما تُحُدوا على ما أشعر به فاتحة السورة ولم يزيدوا في الجواب على التعجب وقولهم: ساحر مبين دل على أنهم عجزوا عن المعارضة.(٣)

على القراءة الثانية: المراد بالسحر الحاصل بالمصدر لا المعنى المصدري(٤) وهم كاذبون في ذلك عند أنفسهم أيضًا، وبهذا الاعتبار يكون دليل عجزهم؛ لأن التعجب أوّلًا ثم التكلم بما هو معلوم الانتفاء قطعًا حتى عند نفس المعارض دأب العاجز المفحم.(٥)

---

(١) انظر: البحر المحيط (١٠/٦).
(٢) انظر: الكشاف (٣٤٧/٢).
(٣) انظر: حاشية القطب التحتاني (٢١٨).
(٤) انظر: التحرير والتنوير (٨٦/١١).
(٥) انظر: حاشية السعد على الكشاف (ص ٢٩٦).

فحاصل القراءتين أنهم يغالطون أنفسهم ويغالطون قومهم لستر مكابرتهم ولدفع ما ظهر من الغلبة عليهم. وهذا شأن المغلوب المحجوج أن يتعلق بالمعاذير الكاذبة.

والقراءتان تشيران إلى أنهم قالوا ذلك إما في أحوال متعددة، فمرة نسبوه إلى القائل ومرة إلى المقول، أو بتعدد القائل.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين أولا وآخرًا، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سرمدا، وبعد، ففي ختام هذا البحث الذي أرجو من الله أن أكون وفقت في تحقيق مسائله أقرر أن هذه المنهجية التي اتبعتها مع صعوبتها هي السبيل في التعامل مع كتب التفسير التراثية بداية من الكشاف للزمخشري إلى روح المعاني للألوسي، وأن المراجع التي رجعت إليها هي الأساس التي كانت تدرس قديمًا في الأزهر فتنفتح بها عبارات ومباحث كتب التفسير، وأسجل أهم النتائج التي خرجت بها من البحث:

أولا: ما يتعلق بمسائل علوم القرآن

١. التقسيم الثلاثي لسور القرآن الكريم صحيح ولا غبار عليه خلافا للشيخ عبدالمتعال الصعيدي.

٢. التحقيق أن سورة يونس (عليه السلام) مكية كلها.

٣. أن الأحرف المقطعة ليست من المتشابهات، و يكفي في كونها مفهمة كونها موضوعة لحروف الهجاء.

٤. استعنت بسبب النزول والسياق في الترجيح بين المعاني.

ثانيا: المسائل اللغوية والبلاغية

١. التحقيق أن أحرف التهجي حقيقة أ ب ت، أما الألف والباء والتاء فهي أسماؤها. وأنها وضعت بغرض التركيب، واشتهر من معانيها أنها إما مسرودة على نمط التعديد أو اسم للسورة، وأنها على الأول لا محل لها من الإعراب، وعلى الثاني تعرب. والسياق هنا يقتضي ترجيح أنها مسرودة على طريق التحدي.

٢. التحقيق أن أصل الآية العلامة، وباقي المعاني ترجع إليها، وأن أصل الكتب للسقآء. وأن أصل حكم المنع، وأن إسناد الحكمة إلى الآيات وهي لصاحبها مجاز، وأن القرآن يطلق على جميع القرآن، وعلى المجموع، وعلى القدر المشترك بينه وبين أبعاضه، والتحديد بالقرائن. وأن أحسن الْوُجُوه في الإشارة كون الإشَارَة إلَى ما تضمنته السُّورَة وجعل الْكتَاب بمعنى جميع الْقُرْآن أو جميع النازل.

٣. التحقيق أن "كان" قيد للخبر، والنكتة البلاغية من تقييد الإسناد بكان هي تقرير اسم كان على صفة. والمراد بالناس كفار مكة، فهو عام أريد به الخصوص، وأن هناك فرقا بين دلالة المصدر الصريح والمصدر المنسبك، وذكرت الفروق النحوية وطبقتها على الآية الكريمة.

٤. من المهمات معرفة الفرق بين المعنى المصدري والحاصل بالمصدر، وتعرضت لبيان ذلك في كلمة (عجبا) و (سحر).

٥. من المهم جدا في معرفة الحقيقة اللغوية والشرعية للألفاظ، واستيفاء قيودهما، وتعرضت لبيان معنى الكفر والسحر والإنذار.

ثالثا: أبرزتُ الألفاظَ العامة الباقية على عمومها والتي عرض لها التخصيص، وبينت المعاني البلاغية المترتبة على ذلك.

رابعا: قضية الحمل وشرطه ونوعه من القضايا المهمة للمعرب والمفسر، فلا بد من صلاحية المحمول والمحمول عليه حتى يصح الحمل، لا بد أن يتغايرا من وجه، ويتحدا من وجه، وأن يصدق الخبر على المبتدأ، فلا يصح حمل المعنى على الذات إلا بتأويل.

التوصـــيات: أوصي كل باحث في التفسير وعلومه بالاهتمام بعلـــوم اللغـــة، وقراءة كتب التفسير والاستفادة من مناهجها في تحليل النص القرآني.

المصادر والمراجع

١- **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٢- **الأشباه والنظائر في النحو**، للسيوطي ط/ صادر.

٣- **الاشتقاق المؤلف**، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد دار النشر: مكتبة الخانجي – القاهرة / مصر – الطبعة: الثالثة تحقيق: عبد السلام محمد هارون

٤- **البرهان في علوم القرآن**، المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي.

٥- **بشير اليسر شرح ناظمة الزهر**، الشيخ: عبد الفتاح القاضي ط/ قطاع المعاهد.

٦- **بغية الكامل السامي شرح المحصول والحاصل**، للجامي محمد موسى الروحاني البازي.

٧- **التحرير والتنوير**، الشيخ: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ). ط/ الدار التونسية للنشر.

٨- **تفسير ابن كمال باشا**، ط/ مكتبة الإرشاد.

٩- **التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم**، د. عبدالعظيم المطعني ط/ مكتبة وهبة.

١٠- **تفسير البيضاوي بحاشية الكازروني**، ط/ مصطفى الحلبي.

١١- **التفسير التحليلي لسورة النساء**، فضيلة الأستاذ الدكتور/ إبراهيم خليفه (رحمه الله).

١٢- **التقرير والتحبير علي تحرير الكمال**، بن الهمام ط/ دار الفكر.

١٣- **تقريرات الإمبابي**، على الصبان ط/ المطبعة الوهبية.

١٤- **تناسق الدرر في تناسب الآيات والسور**، للسيوطي، ط/ دار الكتب العلمية.

١٥- **الجاسوس على القاموس**، المؤلف: أحمد فارس أفندي.

١٦- **جامع البيان في تأويل القرآن**، للشيخ محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة.

١٧- **حاشية التوضيح على شرح تنقيح الفصول**، للشيخ: محمد الطاهر بن عاشور، ط/ مطبعة النهضة.

١٨- **حاشية الدسوقي على المختصر ضمن شروح التلخيص**، ط/ عيسى الحلبي.

١٩- **حاشية السعد على الكشاف**، مخطوط مكتبة عاطف أفندي رقم (٣٥٤).

٢٠-**حاشية السيالكوتي**، على عبدالغفور على الجامي .

٢١- **حاشية الصاوي**، على الجلالين ط/ دار احياء التراث العربي.

٢٢- **حاشية الصبان**، على الأشموني بتقريرات الشيخ أحمد الرفاعي. المطبعة الخيرية.

٢٣- **حاشية العصام**، على البيضاوي مخطوط، مكتبة أيا صوفيا، رقم (٣٢٩).

٢٤- **حاشية العطار على الخبيصي على السعد** ط/ مصطفى الحلبي.

٢٥- **حاشية العطار على جمع الجوامع**، ط/ دار الكتب العلمية.

٢٦- **حاشية العلامة العطار على مقولات البُليدي.**

٢٧- **حاشية القدقي على حاشية العصام على شرح الجامي.**

٢٨- **حاشية المنلا خسرو على البيضاوي**، مخطوط، مكتبة أيا صوفيا، رقم (٢٠٧).

٢٩- **حاشية حسن أفندي على العصام على الملا جامي.**

٣٠- **حاشية شيخ الإسلام الرضي** (رضي الدين، محمد بن يوسف بن أبي اللطف الحنفي) على أبي السعود والبيضاوي والكشاف (ص٣) مخطوط، مكتبة عاطف أفندي.

٣١- **حاشية قطب الدين الرازي على الكشاف مخطوط،** مكتبة أيا صوفيا، رقم (٣٦٦).

٣١- **حاشية محمد أمين على العصام على ملا جامي.**

٣٢- **حواشي التلويح،** ط/ دار الكتب شرعية والأدبية.

٣٣- **الخصائص،** المؤلف: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢هـ) الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٣٤- **رسالة الاشتقاق،** لأبي بكر محمد بن السري السراج، تحقيق: محمد علي الدرويش.

٣٥- **رسالة على تحقيق البسملة،** للشيخ: محمد الأمير الكبير محققة في كلية الآداب- قسم اللغة العربية، الجامعة الإسلامية -فلسطين - غزة.

٣٦- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،** لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، ط/ إحياء التراث العربي.

٣٧- **الزيادة والإحسان في علوم القرآن،** لابن عقيلة ط/ جامعة الشارقة.

٣٨- **سر صناعة الإعراب،** لابن جني ط/ المكتبة التوفيقية.

٣٩- **السيالكوتي،** على المطول ط/ دار سعادت.

٤٠- **شرح الشافية،** للعلامة العصام مع شرح نقره كار ط/ عيسى الحلبي.

٤١- **شرح المقاصد،** للعلامة السعد التفتازاني ط/ دار الكتب.

٤٢- **شرح الملا الجامي على الكافية،** من غير طبعة.

٤٣- **شرح المواقف،** للمحقق: السيد الشريف الجرجاني ط/المكتبة الأزهرية.

٤٤- **شرح قطر الندى بحاشية الألوسي**، ط/ مكتبة نور الصباح.

٤٥- **شرح محرم أفندي على الملا الجامي**.

٤٦- **فتح البرية على الدرة البهية**، لشيخ الإسلام الباجوري، ط/ مصطفى الحلبي.

٤٧- **فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)**، المؤلف: شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (المتوفى: ٧٤٣ هـ) الناشر: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

٤٨- **فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت**، ط/ دار الفكر.

٤٩- **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، للزمخشري ط/ مكتبة مصر.

٥٠- **كشف الأسرار**، شرح أصول البزدوي عبد العزيز بن أحمد بن محمد، علاء الدين البخاري الحنفي (المتوفى: ٧٣٠هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي

٥١- **الكوكب الدري فيما يتخرج على الأصول النحوية من الفروع الفقهية**، ط٢/ دار الأنبار.

٥٢- **مداخل إعجاز القرآن**، الشيخ: محمود شاكر، ط/ دار المدني بجدة.

٥٣- **المطو،ل** للعلامة السعد التفتازاني، ط/ المكتبة الأزهرية.

٥٤- **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، لابن هشام الأنصاري بحاشية الدسوقي عليه ط/ دار السلام.

٥٥- **المفصل في صنعة الإعراب**، للزمخشري ط/ مكتبة الآداب.

٥٦- **نتائج الأفكار شرح إظهار الأسرار**، الشيخ: مصطفى بن حمزة من غير طبعة.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الملخص باللغة العربية	٦٣
الملخص باللغة الإنجليزية	٦٥
المقدمة	٦٧
تمهيد	٧٠
الفصل الأول: وصف آيات القرآن الكريم بالحكمة	٨٠
المبحث الأول: المعاني اللغوية والبلاغية في الآية الكريمة	٨٠
• المسألة الأولى: في اسم الإشارة (تلك)	٨٢
• المسألة الثانية: في معنى الآية	٨٣
• المسألة الثالثة: في كلمة الكتاب	٨٦
• المسألة الرابعة: في معنى الإضافة في قوله تعالى (آيات الكتاب)	٨٧
• المسألة الخامسة: في معنى الحكيم	٨٨
النكتة البلاغية من إسناد الحكمة إلى الآيات وهي لصاحبها	٨٩
المبحث الثاني: في التفسير	٩١
• المسألة الأولى: في معنى الأحرف المقطعة	٩١
• المسألة الثانية: في المراد بالكتاب	٩١
• المسألة الثالثة: نوع حمل الكتاب على الآيات	١٠٢
• المسألة الرابعة: في معنى إحكام آيات الكتاب	١٠٣
الفصل الثاني: إنكار تعجب المشركين من الوحي إلى رسول	١٠٦

الله (ﷻ)	
المبحث الأول: المعاني اللغوية والبلاغية في الآية الكريمة	١٠٨
• المسألة الأولى: في الاستفهام الإنكاري الوارد في الآية	١٠٨
• المسألة الثانية: في دلالة كان	١٠٩
• المسألة الثالثة: في الناس	١٠٩
• المسألة الرابعة: السر من التعبير القرآني باللام دون غيرها	١١١
• المسألة الخامسة: في معنى عجبًا	١١٢
• المسألة السادسة: هل (عجبًا) المراد منه المعنى المصدري أو الحاصل بالمصدر؟	١١٤
• المسألة السابعة: في المصدر المنسبك من أن والفعل في قوله تعالى: {أَنْ أَوْحَيْنَا} [يونس: ٢]	١١٦
قولـــــه تعالى: ﴿أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ يونس: ٢	١١٨
• المسألة الأولى: في مناسبة هذه الجملة لما قبلها	١١٨
• المسألة الثانية: في معنى «أن»	١١٨
• المسألة الثالثة: معنى الفعل أنذر	١١٩
• المسالة الرابعة: في المراد بالناس	١٢٠
• المسألة الرابعة: السر البلاغي في حذف متعلِّق الفعل أنذر	١٢٠
• المسألة الخامسة: في معنى الفعل بشر	١٢١
• المسألة السادسة: في معنى إضافة الصدق إلى القدم	١٢١
المبحث الثاني: في التفسير	١٢٧

● المسألة الأولى: في القراءات الواردة فيها وتوجيهها	١٢٧
● المسألة الثانية: ما الذي تعجب منه المشركون؟	١٢٩
● المسألة الثالثة: القراءات الواردة في قوله تعالى: {إِنَّ هَـذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ} [يونس: ٢] وتوجيهها	١٣٣
الخاتمة	١٣٥
المصادر والمراجع	١٣٧
فهرس الموضوعات	١٤١